ملحق الكتروني تصدره جريدة «العدالة» اليومية، يهتم بترويج الافكار والمفاهيم
لتحرير القدس واراضينا المحتلة، ومقاومة الصهيونية والهيمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

((إنّ هذه امَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ))

((وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ * إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ * وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ * وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.))

((وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا.))

العدالة ملحق

وحدة الساحات | أصالة الوعي | تكامل المسؤوليات

العدد 22 -الخميس 27 آب 2026

ان ما يتم نشره في الملحق يمثل رأي الكاتب ولا يعبر بالضرورة عن رأي (العدالة)

إيران: النمو والتكامل الاقتصادي والدفاعي
اللواء محسن رضائي

الإيرانيون في مقعد القيادة
جون ميرشايمر وولي نصر

تعدد زوجات. أم خيانات زوجية...اتفاق مكة: السعودية، تركيا وباكستان
السيد عادل عبد المهدي

أمريكا: هزيمة منظومة ونظام، وليس قوى وقدرات
سكوت ريتز

إيران والقواعد الجديدة للقوة العالمية
روبرت أ. بيب

إذا لم تفهم البترودولار، فلن تفهم الجغرافيا السياسية

رؤية

ارتأت هيئة تحرير جريدة «العدالة» إصدار ملحق دوري يتناول القضايا الفكرية ذات الأبعاد المعرفية والتأسيسية والتحليلية المعمقة. فهناك حقيقة واضحة وهي ان تطور الاعلام وسرعة انتشاره، وتعدد وسائله قد راكم مفاهيم تعتمد الكم على حساب النوع. وتعتمد التبسيط والتعابير الشعبوية وسعة النشر والترويج على حساب سلامة المفاهيم وصحة بناءاتها ودقة معلوماتها. ولاشك ان ذلك قد اثر ويؤثر في مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والحقوقية والوطنية. بل هو يؤثر على الحصانات الفردية والجماعية والمجتمعية. فيسهل على قوى الاستغلال والشر والاستعمار التلاعب والاختراق بمشاعر الناس وعواطفهم لتمرير مخططاتهم وتحقيق اهدافهم.

لقد كشف «طوفان الأقصى» حقيقة لم تكن خافية لكنها لم تظهر بالوضوح الذي ظهرت عليه بعد السابع من تشرين اول (اكتوبر) ٢٠٢٣. كشفت ان قضية فلسطين هي ليست قضية تحرير ارض سليبة عربية او إسلامية فحسب. بل هي قضية تحرير فكر وتاريخ وعلاقات ووعي على صعيد عالمي، وليس على صعيد محلي فقط. فالصهيونية والاستعمار والهيمنة والمعايير المزدوجة والاستغلال والليبرالية والجندرية والفصل العنصري والإبادة الجماعية وانتهاك حقوق الأفراد والشعوب كل مترابط. فهناك وعي مغرض سقيم يسعى الطغاة والمستغلين نشره وترويجه. وهناك وعي هادف سليم يسعى المخلصون ترسيخه وحمايته. ونحن سنبذل جهدنا لان نؤدي ولو بمساهمة بسيطة في خدمة الوعي الجاد والسليم بنقل الكثير من الكتابات والمقالات الواعية المفيدة التي ينتفع بها الجميع وليس جهة او بلد واحد. فوحدة الساحات وتعميق الوعي وتحمل المسؤليات لا تخص ساحة واحدة بل تخص البشرية كلها.

هيئة تحرير العدالة

فهرست

إيران: النمو والتكامل الإقتصادي والدفاعي ٥
اللواء محسن رضائي

الايرانيون في مقعد القيادة ١٩
جون ميرشايمر ولي نصر

تعدد زوجات، أم خيانات زوجية «اتفاق مكة»:
السعودية، تركيا وباكستان ٣٣
السيد عادل عبد المهدي

أمريكا: هزيمة منظومة ونظام، وليس قوى وقدرات ٤٧
سكوت ريتر

إيران والقواعد الجديدة للقوة العالمية ٦١
روبرت أ. بيب

إذا لم تفهم البترودولار، فلن تفهم الجغرافيا السياسية ٧٣
هيئة التحرير

ملحق
العدالة

ملحق الكتروني تصدره جريدة «العدالة» اليومية، يهتم بترويج الافكار والمفاهيم لتحرير القدس واراضينا المحتلة، ومقاومة الصهيونية والهيمنة

صاحب الامتياز: السيد عادل عبد المهدي

مدير التحرير: د.علي الشاطي

التصميم: العدالة

ALADALAEDITOR@YAHOO.COM

ALADALANEWS.NET

الوان المقالات:

- مكتوبة
- محكية
- مترجمة

لفتح المكتبة الرقمية، كتب مختارة (PDF) اضغط على الرابط الاتي.

https://aladalanews.net/adala-books/

اللواء محسن رضائي
٢٠٢٦/٨/٢٢

إيران: النمو والتكامل الإقتصادي والدفاعي

«المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني هو المؤسسة التي تتبلور عندها أراء كافة مؤسسات الجمهورية الإسلامية والتي يشرف عليها مباشرة الولي الفقيه نفسه. من هنا تكتسب أول مقابلة يجريها أمينها العام اللواء محسن رضائي أهمية خاصة لفهم سياسة الجمهورية الاسلامية في حاضرها ومستقبلها. لهذا نعيد نشر المقابلة كاملة لأهميتها القصوى. واللواء محسن رضائي هو أحد مؤسسي الحرس الثوري الإيراني، وتولى قيادته منذ ١٩٨١ ولمدة تجاوزت ١٥ عاماً. كما تولى عدة مناصب عليا بعد تركه قيادة الحرس الثوري. وهو إلى جانب خبرته وتحصيلاته في العلوم العسكرية، فإنه حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية أيضاً.». والان نص المقابلة كما نُشرت في وسائل الاعلام الإيرانية:

قال أمين المجلس الأعلى للأمن القومي: «منذ حرب الأيام الاثني عشر وحتى اليوم، نحن في حالة مستمرة من النمو والتكامل الدفاعي والسياسي؛ أي إن إيران اليوم لن تكون بعد الآن إيران ما قبل الحرب. لقد طرأ تحول على أنماط السلوك الدولي لإيران، والعالم كله ينظر الآن إلى إيران بنظرة جديدة».

بحسب وكالة أنباء صدا وسيما، تحدث اللواء محسن رضائي في برنامج «الحوار الإخباري الخاص» عن تطورات ميدان الحرب، ومضيق هرمز، والقضايا الراهنة في البلاد، وأجاب عن الأسئلة المتعلقة بذلك.

اللواء رضائي: أهنئ بهذه الأيام. شهر ربيع هو شهر النبي الأكرم وحضرة وليّ العصر. والحمد لله، إن شعبنا لديه دائماً سند جيد باسم حضرة وليّ العصر، وهو أيضاً يدعو لشعبنا، وقد قدّم شعبنا أيضاً كثيراً من شبابه في الدفاع عن إيران والوطن والإسلام. كما أهنئ الدكتور بزشكيان وجميع رجال الدولة بأسبوع الحكومة، الذي يبدأ من غدٍ وبعد غد، ونحيي ذكرى وذاكرة الشهيدين الكبيرين رجائي وباهنر؛ رجلي الدولة اللذين وقفا إلى جانب إيران ودافعا عن إيران.

وأقدّم التعازي إلى شعب إيران العزيز. أعلم أن شعب إيران لا يزال في حالة حداد ولديه حزن؛ أقدّم التعازي، وفي الحقيقة لقد فقدنا أباً له حق في عنق إيران؛ أي إنهم جاهدوا «بأموالهم وأنفسهم»، وضحوا بأنفسهم وعائلاتهم في سبيل إيران والإسلام.

وبالطبع، على الرغم من أن لدينا هذا الحزن، فإننا شاكرون لفضل الله تعالى والعنايات الإلهية، إذ منحنا قيادة تشبه قائدنا الإمام الشهيد. وفي الحقيقة، فإن أكثر شخص شبهاً بالقائد الشهيد هو حضرة آية الله السيد مجتبى حسيني خامنئي، الذي، على الرغم من أنه هو نفسه اليوم يحمل حقاً حزناً كبيراً؛ فقد فقد أباً كان أباً لأمة إيران، وفقد عائلته، وفقد صهره وابن أخته، إلا أنه أدار إيران بقوة كبيرة خلال هذه المدة.

لقد أظهر صموداً في مواجهة أصعب حرب، ودافع عن شعب إيران، وبالشجاعة والتدبير، سواء في ساحة الدبلوماسية، أو في ساحة الحرب، أو في إدارة البلاد ووضع إدارة البلاد، خرج مرفوع الرأس، والحمد لله، خلال هذه الأشهر القليلة.

ومن الضروري هنا أن أشكره لأنه وثق بي ووضع هذه المسؤولية الخطيرة على عاتقي. وآمل أن نتمكن، بمساعدة رؤساء السلطات، من تنفيذ نياته وتوجيهاته.

السؤال: في البداية، وبما أنك أشرت إلى هذا التعيين، فمنذ اللحظة الأولى لنشر خبر تعيينك، وكذلك تعيين القادة العسكريين، كانت هناك تحليلات كثيرة تقول إن ذلك يدل على حدوث تغيير في نهج الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجال الأمن القومي والدفاع. فهل حدث بالفعل مثل هذا التغيير في الاستراتيجية؟

اللواء رضائي: ربما من الأفضل أن نقول إن تطوراً قد حدث في الاستراتيجيات الدفاعية لإيران. نعم، نحن منذ حرب الأيام الاثني عشر وحتى اليوم في حالة مستمرة من النمو والتطور الدفاعي والسياسي؛ أي إن إيران اليوم لن تعود إيران ما قبل الحرب، وبالطبع فإن أميركا كثيرة الادعاء والمغرورة أيضاً لن تكون أميركا ما قبل الحرب.

لقد طرأ تحول على أنماط السلوك الدولي لإيران، والعالم كله ينظر الآن إلى إيران بنظرة جديدة. ولا يمكننا، على مستوى هذه النظرة، ألا نطوّر سلوكياتنا وألا نصلحها؛ إصلاح في السلوك الدفاعي وكذلك في السلوك الدبلوماسي.

وهذا كان من بين أهم ما تعلمناه في هذه الثورة. لقد تعلمنا في الثورة أن أكبر جامعاتنا هي التعلّم، ونحن في ميدان العمل، كلما وصلنا إلى درس أو معرفة، فإننا نحتفظ بها لمستقبلنا ونعمل بها أيضاً.

علينا بالتأكيد أن نواصل تطوير التكنولوجيا بسرعة كبيرة، فنحن بحاجة شديدة إلى ذلك. ومن جهة أخرى، نحن بحاجة، بعد عدة مفاوضات وعدة حالات من نكث الأميركيين للعهود، إلى إجراء إصلاحات في سلوكنا الدبلوماسي، وسأقول كيف.

ومن جهة أخرى، فإن صورة أميركا الساعية إلى السلام والمؤيدة لإيران ولتقدم إيران قد تغيّرت اليوم بالكامل في أذهان شباب إيران.

أميركا اليوم لم تعد أميركا ما قبل الحرب في ذهن مجتمعنا. أميركا التي خرجت من الزينة التي كانت قد وضعتها على نفسها، واستشهدت قائدنا العزيز، وهاجمت مدارس إيران وملاعبها الرياضية؛ واليوم أصبح لدى مجتمعنا صورة واقعية وحقيقية عن أميركا.

لقد تشكّلت اليوم مواجهة بيننا وبين أميركا؛ أمة عمرها خمسة آلاف عام، ذات حضارات عظيمة، في مواجهة بلد ودولة عمرها مئتان وخمسون عاماً، ولها كمّ هائل من الحروب وأعمال العنف والاعتداءات. وهذه الصورة تتشكل الآن أمام العالم وهم ينظرون إليها.

كثيرون ممن كانوا يعرفون إيران بدرجة أقل، فعلى سبيل المثال ذهب شباب شعوب العالم ودرسوا، ورأوا: يا لها من حضارة تمتلكها هذه الأمة، ولها الكثير من السوابق التاريخية والثقافية والعلمية.

وفي مثل هذه الظروف، لا يمكننا حقاً ألا نتطور يوماً بعد يوم وألا نتعلم من تجاربنا للمستقبل. فالحرب والدبلوماسية كلتاهما جامعة لاكتساب الخبرة بالنسبة إلينا، لكي نتجه نحو النمو.

ولذلك، فإن هذا القرار الذي اتخذه قائد الثورة العزيز بشأن مجيء القادة ذوي الخبرة وترسيخ قوتهم، يعني أننا بالتأكيد سنستخدم في المعركة المقبلة جميع التجارب التي استخدمناها خلال العام الماضي، وأن الحرب المقبلة ستكون مختلفة عن حرب الأربعين يوماً.

السؤال: كان تحليل بعضهم أن هذا الحدث وهذه التعيينات تُعدّ، بشكل ما، نهايةً لضبط النفس والصبر الاستراتيجي للجمهورية الإسلامية الإيرانية. هل هذا التحليل صحيح؟

اللواء رضائي: سأشير إلى ذلك؛ ربما لا يمكن قول الأمر بهذا التعبير، لكن يمكن القول بهذا التعبير: إنه ستكون لدينا بالتأكيد تغييرات في مسألة إدارة أسلوب الحرب، وكذلك ستحدث تحولات وتغييرات في مسألة السلوك الدبلوماسي لإيران. والسبب في ذلك واضح، وهو أن الأميركيين خانوا المفاوضات والدبلوماسية، بل إنهم حتى انتهكوا توقيعهم هم أنفسهم. ولذلك فإن هذا التحول الذي بدأ اليوم سيكون تحولاً جديداً، وسيكون بدايةً لكل من السلوك الدبلوماسي لإيران والدفاع القوي لإيران في المستقبل.

ولهذا السبب نطلب من شعبنا الكريم والعزيز أننا في هذه المواجهة الكبرى؛ أي إننا أمام أكثر دفاع مدعاةً للفخر في مواجهة أكثر حرب حماقةً، ونحن باستمرار في حالة صعود وارتقاء بمكانتنا الدولية. وعلى هذا المستوى يجب أن نحافظ على وحدتنا ونمنع التفرقة.

وإذا كنتم أنتم وأصدقاؤنا الأعزاء قد درستم، فإن أكثر الكلمات تكراراً في أحاديث إمامنا الراحل وشهيدنا كانت: الوحدة، والتماسك، والتعاضد. واليوم إحدى مؤامرات العدو هي أنه يعوّل على التفرقة والخلاف ويعتبرهما أهم من القصف بطائرات إف-٣٥. ووحدتنا ليست أقل من منصات الإطلاق في مواجهة إثارتهم للتفرقة.

ولذلك، ليس لدينا نقص في وسائل الإعلام ولا الكتّاب ولا المنابر. كل هذه يمكن أن تتحول إلى مكسب وطاقة جديدة في هذا التحول الذي يريده سماحة قائد الثورة. ولذلك فإن التحول لا يقتصر فقط على تعيين القادة؛ بل سيحدث تحول في إدارة الحرب، وفي الدبلوماسية، وفي القضايا الاجتماعية والسياسية للبلاد أيضاً، وإن شاء الله يجب أن نأتي بتآزر جديد وقدرات أكبر إلى الساحة لكي نتمكن من عبور هذه القضايا مرفوعي الرأس.

إذا سمحتم لي، فيما يتعلق بهذه العبارة التي أقولها: «أكثر دفاع مقدس مدعاةً للفخر في مواجهة أكثر حرب حماقةً»، أود أن أذكر بعض الحقائق والبيانات التي ستكون مثيرة للاهتمام بالنسبة إلى شعبنا نفسه.

والسبب أيضاً هو أنني أوردت هذه الحقائق لأن ترامب يريد أن يبدأ لعبة جديدة تحت عنوان الحرب الاقتصادية، وإن شاء الله سنحاسبه عليها أكثر مما فعلنا في الدفاع المقدس.

ماذا فعل ترامب؟ حماقة ترامب أوجدت ديناً كبيراً جداً على كاهل الشعب الأميركي وحلفائه مثل اليابان، وعلى العالم كله. وقد قالت صحيفة فايننشال تايمز هذا، بشأن ما الذي حدث مع ارتفاع عوائد السندات الأميركية طويلة الأجل، وما الوضع الذي وصل إليه الاقتصاد الأميركي. والآن يريد أن يشن حرباً اقتصادية علينا. أقول إن أميركا شنت هذه الحرب الاقتصادية ضد نفسها. وأنتم تعلمون بالتأكيد أنه جاء بشعار انتخابي يقول: «نريد أن نجعل أميركا عظيمة مرة أخرى»، لكن ماذا جعل عظيماً؟ لقد جعل الديون عظيمة. لقد جعل ديون السندات الأميركية ذات الثلاثين عاماً أكبر؛ أي إن السندات التي يصدرونها يجب أن تُسدَّد بعائد أعلى بكثير من كامل فترة القرن العشرين.

الآن، لكي يمول النظام الأميركي احتياجاته، عليه أن يقترض بمعدل يساوي ثلاثة فاصلة سبعة أضعاف معدل عام ٢٠٢٠؛ أي إنه مقابل كل مئة مليار دولار من الدين، عليه أن ينفق سنوياً ٣,٧ مليارات دولار أكثر مما كان ينفق في السابق. وإذا ضربتم هذا في السندات الأميركية ذات الثلاثين عاماً، وفي تلك السندات التي تبلغ أربعين تريليوناً، فربما فرض على الشعب الأميركي والشركات الأميركية مبلغ يعادل عدة أضعاف ميزانيتنا السنوية.

ثانياً، فيما يتعلق باليابان، وهي حليف قريب لأميركا، فإن أميركا شنت حروباً لسنوات، وصنعت الديون، وقام الآخرون أيضاً بتمويلها بأموال رخيصة، وكانت اليابان أحد الأعمدة. والآن وصل عائد السندات اليابانية ذات العشر سنوات إلى نحو ٣٪؛ أي أعلى مستوى في اليابان خلال الثلاثين عاماً الأخيرة.

وبالنسبة إلى طوكيو، فإن هذا يعني ارتفاع تكلفة الدين، وبالنسبة إلى واشنطن، يعني نهاية الركوب المجاني ووصول فاتورة حماقات ترامب. لماذا نقول إنها معركة مدعاة للفخر في مواجهة معركة حمقاء؟ لأنه ألحق الضرر بشعبه، وألحق الضرر بحلفائه.

ومن جهة أخرى، أجرينا حساباً يتعلق بالمخاطر اللوجستية. في بداية الحرب لم يكن أحد قد أبدى رأياً أصلاً بشأن أن لوجستيات العالم أو أميركا لم تتأثر كثيراً.

السؤال: لوجستيات الحرب أم بشكل عام؟

اللواء رضائي: لا، لوجستيات التجارة العالمية كلها. نحو ١٢٠٠ ناقلة نفط أصبحت الآن بلا فائدة؛ أي إنه لا توجد لها عمليات دخول وخروج للنفط. واليوم، تقريباً أكثر من ١٥٪ من الأسطول العالمي متوقف عن العمل وخرج من دائرة التجارة.

لكن المسألة أكبر من ذلك ؛ فقد ارتفعت تكلفة وقود هذه الناقلات عدة أضعاف، وارتفعت تكلفة نقل تلك التي لا تزال في المسارات وتعمل عدة أضعاف. ولذلك فإن ترامب رفع أيضاً المخاطر اللوجستية للتجارة العالمية كلها.

تكاليف كبيرة جداً في التجارة، وديون كثيرة في الاقتصاد الأميركي والياباني واقتصادات أخرى؛ ألم يكن هذا عملاً أحمق؟

وبالطبع، كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون إنهاء الحرب خلال بضعة أيام، هكذا كانوا يفكرون، ثم يحصلون على نفط إيران وغاز المنطقة. لكن السؤال هو: لماذا تواصلون (الحرب)؟ أنتم الذين تفهمون، لماذا تواصلون؟ لماذا تفرضون هذه الخسائر على أنفسكم؟

وهناك مسألة أخرى مهمة جداً لم يُلتفت إليها كثيراً، وهي أن حماقة ترامب زادت من جاذبية القنبلة الذرية ورغبة شعوب العالم فيها. أي إن أميركا قالت: «لقد جئت لمنع القنبلة الذرية»، أما الآن فيقول العالم كله: عجيب، إذن لا معاهدة عدم الانتشار فعّالة، ولا العضوية في منظمة الطاقة النووية مفيدة، واتضح أن هذه المسألة الذرية مهمة جداً إلى درجة أن أميركا شنت حرباً من أجلها، فلماذا لا نسعى نحن أيضاً إلى القنبلة الذرية؟ هم أصلاً كانوا قد جاؤوا لكي يعالجوا مسألة الأمن النووي.

لكن الآن نشأ انعدام أمن نووي. سأشير الآن إلى عدة حالات. في العالم، أنشئت منظمات دولية للطاقة النووية من أجل منع إنتاج القنبلة الذرية، وفي الوقت نفسه إتاحة الاستخدام السلمي للتكنولوجيا النووية، مثل الضمانات نفسها، ومعاهدة عدم الانتشار، وما شابه ذلك. لكن ماذا حدث؟

كانت إيران الدولة الوحيدة التي، من حيث الالتزام بالقوانين الدولية للطاقة النووية، كانت متقدمة على جميع الدول الأخرى. نحن قبلنا جميع الضمانات الدولية والتزمنا بها عملياً.

أصبحنا عضواً في معاهدة عدم الانتشار، وانضممنا إلى الوكالة الدولية للطاقة وإلى الآليات الدولية، وقبلنا جميع المفتشين.

إن عدد المفتشين في إيران خلال العقدين الماضيين لم يُشهد له مثيل في أي مكان في العالم. وكان لدينا عدد من الكاميرات المتصلة بالإنترنت التي كانت تنقل لحظة بلحظة الأنشطة النووية الإيرانية إلى منظمة الطاقة، وكانت هناك كاميرات متصلة بالإنترنت وكاميرات غير متصلة بالإنترنت.

وفي الحقيقة، وصلنا حتى في مرحلة ما إلى الاتفاق النووي، ورغم وجود كثير من الكلام والجدل بشأنه، وحتى الإمام الشهيد كانت لديه ملاحظات عليه، فإننا قبلنا الاتفاق النووي.

حسناً، الآن يقول العالم: إذا كانت إيران التي التزمت إلى هذا الحد تُهاجَم، بل وتُهاجَم منشآتها النووية أيضاً، فلماذا لا نذهب نحن لصنع القنبلة، لكي لا يتمكن أحد من مهاجمتنا؟

ومن جهة أخرى أدركوا أنه إذا كانت لديهم قنبلة ذرية، فإنها أرخص وأكثر فاعلية من مئات طائرات إف-٣٥ ومن كثير من النفقات التي تُصرف. حسناً، إن الهجوم النووي على إيران خلق نوعاً من الرغبة؛ وكثير من الدول الآن تسعى إلى ذلك، وقد أخرج فعلياً السيطرة ومنظمة الطاقة النووية من يد العالم. ألم يكن هذا أمراً أحمق؟ وبالطبع توجد أيضاً شبهة وشك في هذا الأمر.

لأن السيد ترامب ومن حوله، وصهره، لديهم تجارة واسعة مع الصناعات العسكرية. ويقول كثيرون إن الصناعات العسكرية نفسها قالت لترامب، عن وعي، إن عليه أن يوسّع حالة انعدام الأمن لكي نتمكن من بيع أكبر قدر ممكن من الأسلحة، ولكي نتمكن من بيع أكبر قدر ممكن من طائرات إف-٣٥.

لم يكونوا يعلمون أن طائرة إف-٣٥ بكل ريشها وزينتها ستسقط في إيران بصواريخ إيران. هذا لم يكونوا يعلمونه. ولذلك يقولون إن المجمع الصناعي العسكري الأميركي والصهاينة خصوصاً أرادوا خلق حالة انعدام الأمن هذه في العالم لكي يبيعوا أكبر قدر ممكن من الأسلحة.

حسناً، ما النتيجة الآن؟ جاءت كل هذه الأسلحة إلى إيران، فماذا فعلتم؟ كانت هذه الأسلحة موجودة لدى الدول العربية، فإلى أي مدى استطاعت الدفاع؟ أصلاً لم تعد الدول العربية والآخرون يثقون بالأسلحة الأميركية. وقد انقلب الأمر إلى العكس.

ومع أن هذا ربما كان حيلة، فإنه تحول في الممارسة إلى حماقة كبيرة. من الذي فعل هذا؟ الشعب الإيراني.

وهناك أمر آخر يفعله ترامب، وهو أنه يقول: يجب أن أحدث تفرقة داخل إيران. وهم يستثمرون بطرق مختلفة؛ الفضاء الافتراضي، والأكاذيب، وحتى تغريدات ترامب نفسه. أعتقد أنه مرّ الآن ربما مئة وسبعون يوماً وشيئاً منذ الحرب، وقد غيّر مواقفه بهذا المقدار نفسه. لماذا؟ لأنه يعلم أنه إذا مر يوم واحد ولم يقل شيئاً أو لم يقل كذبة، فقد تخرج السيطرة من يده. ولماذا يفعل هذا؟ ضد وحدتنا، وضد تماسكنا.

لكن لاحظوا ماذا يجري خلفه في أميركا، وماذا

يجري خلفنا نحن. خلف القوات المسلحة يقف الشعب الإيراني موحداً. إنهم يتحملون صعوبات كثيرة، لكن الجميع يقفون خلف القوات المسلحة وخلف قائد الثورة.

أما خلف ترامب، فإن ثلثي الشعب الأميركي يقولون إن هذه الحرب لم تكن حرباً صحيحة، ولا يدعمونها، ولا يدعمون الجيش الأميركي. ومن جهة أخرى، خلق صراعاً ونزاعاً بين الجمهوريين والديمقراطيين، وأغلق الجامعات، وأغلق الصحف، وأغلق وسائل الإعلام، وصنع أصلاً حرباً خلف نفسه.

أما هنا، فخلف دفاعنا ومقاومتنا وصمودنا، والحمد لله، يوجد تماسك لدى شعبنا.

وأنا، بصفتي جندياً للشعب الإيراني، أوصي الجميع اليوم: الحمد لله، السيد الدكتور بزشكيان، ورؤساء السلطات، إن شاء الله، يقفون خلف قائد الثورة. أصلاً لا يمكن تحقيق الوحدة من دون اتباع قائد الثورة.

نحن جميعاً اليوم متماسكون، وإحدى مسؤولياتي الأساسية أيضاً في هذا المنصب هي تحديداً إيجاد هذا التنسيق وهذا التعاضد، لكي نحافظ جميعاً معاً على هذا التماسك حتى نهاية الانتصارات الأكبر، إن شاء الله.

السؤال: هل يمكن لجنابكم أن تقدموا صورة عامة عن الظروف الحالية في مجال الحرب والمفاوضات، وفي أي ظروف نحن نسير الآن؟

اللواء رضائي: انظروا، لقد أصيب الأميركيون بخيبة أمل كاملة من الهجمات العسكرية، وهم يفكرون في ما الذي يمكن أن يأتي لمساعدة الحرب. جلسوا وقالوا: إذا حاصرنا إيران اقتصادياً، فإن هذا سيساعد هجماتنا العسكرية. وهذا ما حدث منذ يومين أو ثلاثة؛ فقد وضعوا وزير الخزانة الأميركي أيضاً في المحور، وقالوا له: أنت قائد الحرب. والآن، ماذا فعل السيد هيغسيث حتى يريد هذا أن يتولى قيادة الحرب الاقتصادية؟ لقد أصبح وزير الخزانة هذا قائد الحرب الاقتصادية ضد إيران، وسأشرح أن لدينا هنا فقط يداً أكثر تفوقاً، وسأشرح ذلك. حسناً، لماذا قالوا هذا الكلام؟ لأنهم فشلوا مئة في المئة في الإجراءات العسكرية. ليس معنى ذلك أنهم لا يريدون التخلي عن الإجراءات العسكرية، لكنهم يأملون أولاً، إذا أمكن، أن يكسروا وحدتنا بواسطة الضغوط الاقتصادية، وأن ينزل عدد من المحتجين إلى الشوارع، وهؤلاء يساعدون طائرات إف-٣٥ الأميركية مثلاً.

نقاشهم هو أننا لم نعد نستطيع مواجهة إيران بالحرب العسكرية، ولم يعد الهجوم مفيداً.

السيد نتنياهو، عندما ذهب إلى واشنطن، قال لترامب: تعال وحاصر إيران اقتصادياً بشكل كامل لمدة ستة أشهر، وأنا أعدك بأن إيران ستستسلم.

قال ترامب: أنت مخطئ.

فأصرّ هو وقال: حسناً جداً، جرّب ذلك لمدة شهرين أو ثلاثة.

هذه المعلومات دقيقة، معلوماتي دقيقة. جرّبوا شهرين أو ثلاثة، وإذا رأيتم أنها نجحت فاستمروا.

ما أقصده هو أنهم يرتكبون مرة أخرى حسابات خاطئة وأخطاء في أخطاء. وسأشرح لماذا.

لماذا الحرب الاقتصادية حساب خاطئ؟

أولاً، لقد فهم العالم كله الآن أن كل هذا الصخب والاستعراض الذي يقوم به السيد ترامب، وبحسب تعبير شبابنا الجيدين، ليس في الحقيقة سوى كلام فارغ؛ لأن أكثر من تسعين في المئة من حرب أميركا مع إيران كانت حرباً نفسية. سأذكر عدة أمثلة. كانت حرباً دعائية. في مرحلة ما، عندما بدأوا الهجوم على إيران، قالوا...

جاؤوا بهجوم «الأسود» إلى الميدان، وهاجموا إيران، لكنهم في الممارسة فرّوا مثل الثعالب، وتوسّلوا: بالله عليكم، اقبلوا وقف إطلاق النار. في حرب الاثني عشر يوماً، حسناً، أنتم الذين كنتم أسوداً، فكيف أصبحتم تطلبون وقف إطلاق النار؟ وحتى في حرب الأربعين يوماً كانت لديهم الحالة نفسها.

أو جاء ترامب في يوم وأعلن أن «أسطول الحرية» و«مضيق الحرية» قد جاءا، وأطلق ثلاث سفن حربية. ضربنا السفن الثلاث كلها، وبعد ثمانٍ وأربعين ساعة قال: لا، أنا أوقفتها. حسناً، «مضيق الحرية»، سفنكم الثلاث ضُربت، وهكذا صار الأمر.

وهناك مسائل أخرى أيضاً، فهو عادةً يقوم بالدعاية. وأقول لكم: خلال مئة وواحد وسبعين يوماً من الحرب، اتخذ مئة وواحداً وسبعين موقفاً متناقضاً. وهذا تسبب في انعدام ثقة العالم به. والسبب في أنه أصبح وحيداً هو أنه يطرق كل باب لكي يأتي الناتو خلفه، ولكي تأتي أوروبا خلفه، ولكي لا تستخدم الصين وروسيا حق النقض. لقد أصبح وحيداً، لأن معظم ما يقوم به دعاية وحرب نفسية.

وهـذا العمـل الذي بـدأه تحت عنـوان الحرب الاقتصادية هو أيضاً دعائي. لماذا؟ سأقول الآن.
أولاً، ما العمل الجديد الذي يريد أن يقوم به ولم يقم به حتى الآن فـي الحرب الاقتصادية؟ نحن خاضعون للعقوبات منذ عشـرة أو خمسة عشر عاماً، وخاصة منذ ثماني سنوات إلى الآن، منذ عـام ١٣٩٧هـ.ش (٢٠١٨-٢٠١٩م)، عندما مـزّق هو الاتفاق النووي، فقد قـام بكل ما كان يستطيع القيام به في العقوبات الاقتصادية.
لكننا حصلنا على مليارات الدولارات. لقد تعلمنا كيف يجب أن نتجاوز العقوبات.
أو مسـألة الحصار البحـري؛ الحصار البحري ليـس أمراً بدأ اليوم. نحن منذ عدة أشـهر تحت حصار بحري، لكننا بعنا نفطنا.
وفي الشهر أو الشهرين الماضيين وحدهما، بعنا سـبعين مليون برميل من النفط. وفي تلك الأيام الثلاثـة أو اليومين التي كانت فيها الاتفاقية، في الأسبوع الأول من الاتفاقية، حسناً، كان أسبوعاً جيداً، لأننا أرسـلنا ما يصل إلى سـبعين مليون برميل من النفط الذي كان لدينا في هذا الجانب، وذهب.

والآن، كل يـوم، وبمقـدار إنتاجنـا، نبيـع النفط في الجهة الأخرى أمام السـفن الحربية الأميركية. إذن كان حصار السيد ترامب البحري بهذا الشكل.

لكن انظروا، إذا أراد الآن أن يقوم بأعمال، فإن ردّنا سيكون ردّاً بالمثل على نحو زلزالي.
أولاً، نقـول لجميـع الدول المحيطـة بنا ولدول العالـم ألا تدخل الحـرب الاقتصادية إلى جانب أميركا. أي دولة، أي دولة، تشـارك في فرض قيود اقتصادية علينا، سنعتبرها عدواً.
وبالطبـع، نتفـاوض معهـا أولاً، ونعقد جلسـة معهـا، ونقول لها: ابتعدوا، وافصلوا صفكم عن أميـركا. فإذا لم يفعلوا ذلـك، نضرب، نضرب مصالح تلك الدولة.
لماذا؟ لأنها ذهبت وشاركت الأميركيين.
على سبيل المثال، افترضوا أن هناك دولة، ولا أريد أن أذكر اسمها...
السـؤال: بعضهـم أعلنوا الآن أن هـذه العملية يجري تنفيذها بحقهم، أليس كذلك؟
اللواء رضائي: وفق العملية نفسها التي ذكرناها؛ أي إننا نتفاوض
أولاً، ونحـاول بالكلام الطيب أن نفصل هؤلاء، لأننا في الحقيقة لا نسعى إلى توسيع الحرب.
المسـألة الثانيـة هي أننـا نمنح وقتـاً، لكن في المرحلة الثالثة سنعمل بالتأكيد.
فعلـى سـبيل المثال، هل يمكن لدولـة ما، لأنها تريـد أن ترافـق الأميركييـن، أن تمتنـع عـن إعطائنا المواد الأوليـة للأدوية؟ هل يمكنها أن تفعل ذلك؟
والموضوع الآخـر هو أنه إذا بدأوا هذا العمل،

فلن نسـمح بخروج قطرة نفط واحدة، ليس فقط من مضيق هرمز، بل من الخليج الفارسي أيضاً.

هل يمكن لهذه الدول أن تقف إلى جانب أميركا في الحصـار الاقتصـادي، وتضـر بمصالحنا الاقتصادية، ونحن نسمح للنفط بالخروج من الخليج الفارسي؟ لا.

لـن يخرج النفط، لا مـن مضيق هرمز ولا من الخليج الفارسي، من أيّ منهما.
نحـن فـي الوقت الحاضـر أغلقنـا فقط مضيق هرمـز، ولا شـأن لنـا بالنفط الـذي يخرج من الخليج الفارسي، لأنه يخرج عبر طرق أخرى، لكننا سنستهدف تلك أيضاً.

ولذلك، نطلب فعلاً من الدول المجاورة والدول الصديقة ألا تسير بأي شكل من الأشكال في المسار نفسه مع أميركا، فضلاً عن أن ذلك سيترك الأميركيين وحدهم.

فالأمر ليس على هذا النحو، أي إن أميركا لن تظل حتى النهاية تفدي نفسها، مثلاً، من أجل الدول العربية.

والموضوع الآخر هو أميركا نفسها. نحن حتى الآن لم نهاجم أياً من مصالح أميركا الاقتصادية. لقد ضربنا قاعدة أميركية، هذا صحيح، ضربنا قاعدة أميركية. لماذا؟ لأن الهجوم علينا انطلق من تلك القاعدة.

أما الآن، إذا كان من المقرر أن تفرض علينا حصاراً اقتصادياً، أفلا تمتلك أميركا الكثير من شركات النفط والشركات الاقتصادية حول إيران وفي أماكن أخرى؟ سنضربها.

أليست هذه الحركة الاقتصادية الأميركية، تحت عنوان الحرب الاقتصادية، حماقة أخرى؟ لماذا تريد أن تفعل ذلك؟

إخواننا مستعدون بالكامل لهذه العمليات، لكن كما فعلنا منذ حرب الأيام الاثني عشر، فإننا نتحرك بانحدار منطقي وعقلاني، وبانحدار يجعل العالم يرافقنا، وبانحدار يجعل شعبنا نفسه يعلم أننا في الحقيقة لا نسعى إلى إشعال الحرب. ونحن، إن شاء الله، مستعدون أيضاً لهذه المراحل، ونأمل أن ينهي الأميركيون أعمالهم العدائية وألا نصل إلى تلك المرحلة.

أما بشأن مضيق هرمز، فهو مغلق فعلاً، ولن يُفتح.

السؤال: رغم ما يدّعيه رئيس الولايات المتحدة؟

اللواء رضائي: نعم، هو مغلق. بالطبع، إذا غيّرت أميركا سلوكها، ونفذت الالتزامات التي قدمتها، فستختلف هذه المعادلة، لكن هذه المرة يجب أن تبدأ أميركا، لا إيران. يجب على أميركا أن تعمل. أما بالكلام والحديث وما شابه ذلك، أفلم نتحدث ونتكلم بما فيه الكفاية؟ يجب على الأميركيين أن ينفذوا التزاماتهم. ولذلك فإن فتح مضيق هرمز غير مطروح أساساً.

والنقطة الثانية هي أن مضيق هرمز بالنسبة إلينا له هويتان، لكنه بالنسبة إلى دولة عُمان ليست له سوى هوية واحدة. بالنسبة إلى عُمان وإلينا بصورة مشتركة، هي التجارة؛ أي إننا نحن وعُمان اتفقنا الآن أيضاً على المسار، بالطبع، لكن البيان المشترك لم يُعدّ بعد. إلا أننا اتفقنا على المسار.

السؤال: هل يمكن القول أي مسار هو؟

اللواء رضائي: مسار أوسط؛ لا شمالي ولا جنوبي، بل مسار أوسط، وهو الآن على الورق بالطبع. وهذا لا يعني أنه سيحدث ابتداءً من الغد. مضيق هرمز سيُفتح عندما ينفذ الأميركيون التزاماتهم.

وبالطبع، إذا جاء وقت سوهو في الوقت الحالي ليس وقتاً قصير الأمد، وأردنا فيه أن نفتحه، فنعم، يمكن لهذا الممر المائي الأوسط أيضاً أن يسمح بمرور أكثر من مئة وخمسين سفينة تجارية يومياً.

هذا المسار التجاري مشترك بيننا وبين عُمان. لكن لمضيق هرمز بالنسبة إلينا هوية أخرى لا يملكها بالنسبة إلى عُمان، وهي أن مضيق هرمز هو عنق زجاجة الدخول إلى الخليج الفارسي. عُمان ليست في الخليج الفارسي، ونحن موجودون في الخليج الفارسي. أكثر من خمسين في المئة من سواحل الخليج الفارسي تعود إلى إيران. ولذلك لا يمكننا ألا تكون لدينا إدارة في مضيق هرمز، لأنه إذا لم تكن لدينا إدارة، فإن حالة انعدام الأمن التي ستنشأ سنكون نحن مسؤولين عنها.

ولذلك، فإن إحدى القضايا الجديةٍ في النقاش مع الجانب العُماني الآن هي تحديداً أننا منسجمون معاً في موضوع الممر وحركة العبور التجارية، ولا توجد لدينا مشكلة أيضاً. والحمد لله، فإن مباحثات السيد عراقجي مع وزير خارجية عُمان تقدمت بصورة جيدة جداً، والمباحثات مستمرة الآن أيضاً.

لكن مسألة إدارتنا في مضيق هرمز هي إدارة وسيادة أمنية، ولا يمكننا التخلي عنها.

نحن الآن في حالة حرب. وفي حرب السنوات الثماني أيضاً، مرت عبر هذا المضيق نفسه مئات الآلاف من المعدات العسكرية ووصلت إلى يد صدام حسين، ثم هاجمنا من الغرب. كان صدام حسين يهاجم بأسلحة من الغربيين كانت تمر من جنوب إيران ومن مضيق هرمز وتذهب إليه.

ولذلك فإن لمضيق هرمز بالنسبة إلينا هويتين وخاصيتين. وبالطبع، سنتوصل بالتأكيد إلى اتفاق كامل مع إخواننا العُمانيين، وسنصل إلى نتيجة.

السؤال: الآن لدينا تقريباً مسار أوسط بيننا وبين عُمان ونحن نصل إلى نتيجة بشأنه، لكن إلى حين تحقق الشروط التي تنظر إليها الجمهورية الإسلامية الإيرانية، سيبقى المضيق مغلقاً؟

اللواء رضائي: نعم، إن فتح مضيق هرمز لا علاقة له إطلاقاً باتفاقنا مع عُمان بشأن هذا الخط الأوسط؛ لماذا؟ لأن هذا الخط الأوسط مخصص أنه، إذا فتحت إيران مضيق هرمز في وقت ما، تتمكن مئات السفن من القدوم والذهاب عبر هذا الخط الأوسط، وتصبح التجارة الدولية حرة بالكامل. وبالطبع، ستكون لدينا بطبيعة الحال تكاليف لإدارتنا؛ سواء من الناحية البيئية أو من ناحية مسائل أخرى.

السؤال: والشروط إلتي أشرتم إليها، هل هي الشروط نفسها التي طرحت في إسلام آباد؟

اللواء رضائي: لقد أعلنا شروطنا؛ السيد عراقجي أبلغ الأميركيين بشروطنا؛ نعم، جزء منها هو نفسه. نحن جادون فعلاً في الدبلوماسية، لكننا غيّرنا الأسلوب.

لم نعد، كما في السابق، نذهب مثل طفل مؤدب ونجلس خلف الطاولة ونتحدث. كلامنا هو المنطق. أي دولة، بعد كل هذه المفاوضات، تبقى منتظرة؟ نحن لم نعد ننتظر الكلام، بل ننتظر الفعل.

على الأميركيين أن يأتوا أولاً وينفذوا التزاماتهم التي قدموها ووقعوا عليها. نحن نطالب بالأمن في غرب آسيا وندافع عنه. نحن نريد أن تنتهي الحرب؛ في إيران ولبنان وغزة واليمن. منطقة غرب آسيا مترابطة مثل حلقات السلسلة. ويجب أن تسير دبلوماسيتنا بطريقة تجعل إيران آمنة حتى خمسين عاماً مقبلة، وتنتهي الحروب في غرب آسيا كلها.

قال بعضهم إن إيران تسعى إلى الحرب، أو قالوا إن القوات المسلحة الإيرانية تسعى إلى الحرب. نحن لا نسعى إلى الحرب، بل نقف في مواجهة الساعين إلى الحرب. من يشك في أن إسرائيل وأميركا هاجمتانا وأننا ندافع عن أنفسنا؟ وهما دولتان تاريخهما مليء بإراقة الدماء وقتل مئات الآلاف من البشر، وآخر مثال على ذلك نراه في هجمات إسرائيل على غزة ولبنان وحتى سوريا.

لقد قدّم الجولاني تنازلات كثيرة عن قيمه وقيم فريقه أمام أميركا، لكن قبل يومين أو ثلاثة فقط جرى مرة أخرى الهجوم على دمشق وبعض المطارات السورية. هؤلاء الذين كانوا يعتقدون أنه إذا جاء بهلوي إلى هنا فستصبح إيران «وروداً وبلابل»، فليكونوا واثقين من أنه لم يكن يستطيع أن يكون أكثر خدمة لهم من الجولاني؛ إن كانوا سيأتون ببهلوي.

هنا كانوا سيقسّمون إيران إلى خمس مناطق ويفككونها. نحن أصلاً نواجه جماعات ينبغي لنا أن نرى معها حقائق الميدان. أين نحن من السعي إلى الحرب؟

أميركا هي التي تسعى إلى الحرب، ونحن وقفنا في مواجهة الساعين إليها.

لو كنا نسعى إلى الحرب، فهل كنا سنذهب إلى ثلاث جولات من المفاوضات مع الأميركيين؟ وهل كنا سنقبل عدة اتفاقات لوقف إطلاق النار؟ بالطبع نحن لا نسعى إلى الحرب، لكننا لن نستسلم بأي حال من الأحوال. سندافع عن شعبنا بكل قوة.

نحن، القوات المسلحة، نهدي حتى آخر قطرة من دمائنا لشعب إيران، ولن نسمح لأقدام هؤلاء أن تدخل أرضنا. نحن ندافع عن إيران.

هل كان حسن باقري، وسلامي، ورشيد، وحسين خرازي، وأحمد كاظمي، ومهدي باقري، من الساعين إلى الحرب؟ وهل كان أحمد متوسليان، والشهيد الأمير بابائي، وأردستاني من الساعين إلى الحرب؟ هؤلاء دافعوا عن أرضهم.

لماذا يقولون إن هناك جماعة تسعى إلى الحرب في إيران، وجماعة أخرى تسعى إلى السلام؟ إن شعب إيران كله يقف في مواجهة الساعين إلى الحرب، ونحن وقفنا في مواجهتهم.

إذا غيّرت أميركا سلوكها غداً، ونفذت الالتزامات التي قدمتها، وخرجت من نهج السعي إلى الحرب، وأوضحت أنها لا تسعى إلى الحرب ولا تنوي تقسيم إيران، فسيكون الأمر مختلفاً.

لكنها عادت مرة أخرى وقالت: أريد أن أبدأ حرباً اقتصادية وأغيّر نظام الجمهورية الإسلامية. انظروا، هذا يعني أنه لم يفهم حتى الآن أن الجمهورية الإسلامية ليست مجرد حكومة واحدة، بل هي شعب يقف خلفها. فلماذا تواصل ارتكاب الحماقات؟

لذلك، فإن الحروب تُحسم في الميادين، لا في البيوت؛ في ميادين القتال وميادين الدبلوماسية. الحرب ستُحسم في الميادين، وقد أثبتنا ذلك، وإن شاء الله سنثبت ذلك أيضاً.

وبالطبع، نحن نعتبر الدبلوماسية ميداناً للنضال. راية شعب إيران مرفوعة، وإن شاء الله ستبقى مرفوعة دائماً، ولا يستطيع ترامب ونتنياهو أن يفعلا شيئاً ضدنا.

وفي الختام، لدي عدة مطالب.

السؤال: قبل أن تشيروا إلى هذه النقاط الأخيرة، ذكرتم أن الأمر مستمر إلى حين تحقق شروط الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ أي إننا لن نقوم بأي إجراء، وننتظر أن نرى عملاً من الأميركيين. فإذا لم يقم الأميركيون أيضاً بأي إجراء، فما الذي سيحدث حينها؟ لأن بعض التحليلات تقول إنهم سيواصلون هذه الظروف، ولا سيما الحصار الاقتصادي الأميركي، إلى أن يتجاوزوا انتخابات الكونغرس. فهل سنصبر حتى ذلك الوقت؟

اللواء رضائي: انظروا، أنا لا أقصد أننا سنصبر. أنا الآن أوصي الأميركيين ألا يضيفوا أي قوات. إذا أضافوا قوات، فسنضرب تلك القاعدة نفسها. وألا يقوموا بأي تحرك في المسار الجنوبي، لأننا سنضرب. وأي اجتماع يعقدونه ونعلم أنهم جلسوا فيه مع جماعات معادية للثورة في مكان ما، فسنضرب ذلك المكان.

لذلك، فالأمر ليس أننا صامتون. نحن لسنا صامتين، لكن هجماتنا الآن تحمل معنى واضحاً تماماً.

السؤال: إذا لم تتحقق الشروط، فما الذي سيحدث؟ إذا لم يقم الأميركيون بخطوة عملية لتحقيق تلك الشروط المسبقة...

اللواء رضائي: الآن، بما أنهم يريدون إطلاق حرب اقتصادية، فإننا سنضرب، وسنحيّد الحرب الاقتصادية.

لا، الأميركيون لا يستطيعون أن يبقوا ساكنين. لقد ذهب الأميركيون إلى زاوية الجدار؛ إما أن يقدموا لنا التزاماتنا، أو عليهم أن يحاولوا الخروج من زاوية الجدار. وهم الذين فعلوا هذا بأنفسهم، وهم الذين أوصلوا أنفسهم بحركتهم الحمقاء إلى زاوية الجدار.

وفي النهاية، إما أن يدفعوا التزامات إيران، أو أن يتخبطوا، وعندها سيصبح الوضع أسوأ.

لدي عدة توصيات. توصياتي الأولى موجهة إلى شباب البلاد الأعزاء: كما أظهرنا نمواً جيداً في الحرب العسكرية، فليدخل شباب البلاد إلى الاقتصاد، ولنطلق جهاداً اقتصادياً في إيران.

وكما يجتمع الناس في الميادين، فليبدأوا في بيوتهم وفي أحيائهم بالإنتاج، وليبدأوا بإنتاج السلع التي يحتاجون إليها هم ويحتاج إليها المجتمع.

وهنا، بالطبع، يجب على الحكومة أن تخرج من الاقتصاد الحكومي، وأن تفتح ذراعيها وتساعد الناس لكي يدخل الشعب في جهاد اقتصادي.

لدينا إمكانات كثيرة جداً في البلاد، ويمكننا، نتيجة هذه الضغوط الاقتصادية، أن نحقق ازدهاراً اقتصادياً شبيهاً بالازدهار الصاروخي.

يمكن لكل بيت أن يتحول إلى منصة إطلاق في الحرب الاقتصادية، ويمكن لكل حي أن يتحول إلى قاعدة صاروخية في الحرب الاقتصادية.

حسناً، لماذا لا يحدث ذلك؟ هل لدينا نقص في الشباب؟ هل لدينا نقص في المواهب؟ ما يلزم هنا هو أن نعرّف علاقة جديدة بين الحكومة والشعب في الاقتصاد، وأن نشكّل علاقة جديدة ومعادلة جديدة.

الموضوع الثاني هو الأعمال. فمن جهة، يجب فعلاً قطع أيدي اللصوص والفاسدين، ومن جهة أخرى يجب إيجاد أمن كامل للاستثمار. نحن الآن بصدد إعداد وثيقة الأمن الاقتصادي للبلاد في الأمانة، وإن شاء الله سنقرّها في المجلس الأعلى للأمن القومي، لكي تتمكن الأعمال والقطاع الخاص من العمل بثقة كاملة، من دون القلق بشأن أي جهاز استخباري سيأتي أو أي تفتيش سيجري.

يجب علينا من جهة أن نتعامل بجدية مع الفساد، ومن جهة أخرى أن نوفر الأمن للقطاع الخاص، لكي لا يأخذوا دولاراتهم إلى الخارج، ولا يحتفظوا برؤوس أموالهم في البيوت، ولا يذهبوا لشراء الذهب وما شابه ذلك، بل يأتوا بها ويحوّلوها إلى وظائف، وإلى إنتاج واستثمار. نحن نقبل بأن هذا يحتاج إلى أمن اقتصادي، وإن شاء الله سنقوم بهذا العمل.

النقطة التالية هي مسألة الوحدة. انظروا، في مسألة الوحدة يجب وضع مسافة بين النقد المنصف، كما قال سماحة قائد الثورة، وبين التفرقة والنزاع والتخريب. إذا لم يكن هناك نقد منصف، فماذا يحدث؟ يصاب مسؤولو البلاد بنوع من حسن الظن الزائد ويعتقدون أنه لا توجد لديهم مشكلات. ولذلك فإن النقد شيء جيد جداً، لكن النقد يجب ألا يتحول إلى تخريب وإهانة ونزاع داخل المجتمع.

وأطلب من جميع أصحاب المنابر، ومن جميع من يحملون الأقلام، أن يطالبوا، أن يطالبونا نحن، لأننا جئنا إلى هنا لكي نكون مسؤولين أمام شعبنا. فليطالبوا، ولينتقدوا، وليطلبوا، لكن من الجهة الأخرى أيضاً، كما وقفوا حتى الآن خلف مسؤولي البلاد، فليواصلوا ذلك إن شاء الله.

نحن سنحافظ على الوحدة، ونحن واثقون من أن لدينا انتصارات كبرى في المستقبل. وفي اليوم الذي يخرج فيه الأميركيون من كامل المنطقة منكسي الرؤوس، سيفهم العالم كله أن هذا الانتصار قد صنعه الشعب الإيراني.

وبالطبع، هذا أصبح واضحاً منذ الآن. الآن جاء أصدقاؤنا وإخواننا في باكستان وتركيا والسعودية وأنشأوا ميثاقاً. لماذا؟ لأن أميركا قالت لهم: وداعاً، نحن ذاهبون. وهؤلاء يريدون أن يملؤوا مكان أميركا.

لقد حصلنا على غنيمة اسمها ضعف أميركا في المنطقة، وفراغ أميركا في المنطقة. وهذه غنيمة الشعب الإيراني. لو لم تكن أميركا قد ضعفت، ولو لم تكن قد دخلت في حالة فراغ، لما انسحبت بهذه الطريقة، حتى تأتي دول أخرى الآن وتحاول أن تملأ مكانها بهذا الشكل، وتأخذ غنيمتنا وتذهب بها.

وبالطبع، نحن أكثر من دافع عن وحدة العالم الإسلامي، وما زلنا الآن أيضاً ندعم أي نوع من الاتحاد الذي يُنشأ في المنطقة، بشرط أن يشارك فيه الجميع. لا يمكن لإيران ومصر ألا تكونا في مثل هذه المواثيق بوصفهما من المؤسسين، وبوصفهما من الذين يجب أن يؤخذ رأيهم في ما يتم توقيعه.

لا أن يأتي بعض أصدقائنا لاحقاً ويقولوا: يا جماعة، أنشأنا ميثاقاً، تعالوا وصدّقوا عليه. ماذا نصدّق؟ نحن أصلاً لا نعرف ماذا وقّعتم.

لذلك، فإن الفضاء الذي نشأ في المنطقة اليوم هو فضاء تحليق الشعب الإيراني.

السؤال: كلمة أخيرة؟

اللواء رضائي: نلتمس جميعاً الدعاء من شعبنا العزيز. ادعوا للمقاتلين، وادعوا لقادتكم، وادعوا لقائدنا العزيز. وإن شاء الله، بفضل الله تعالى، نتمكن في المستقبل، مرفوعي الرأس ومع انتصارات أكبر، من إدخال الفرح والسعادة على شعبنا العزيز.

جون ميرشايمر
ولي نصر

٢٠٢٦/٨/٢٥

المصادر:

News Frontier

جون ميرشايمر
(أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو)

ولي نصر
(أهم خبير امريكي من أصل إيراني بالشأن الشيعي والإيراني)

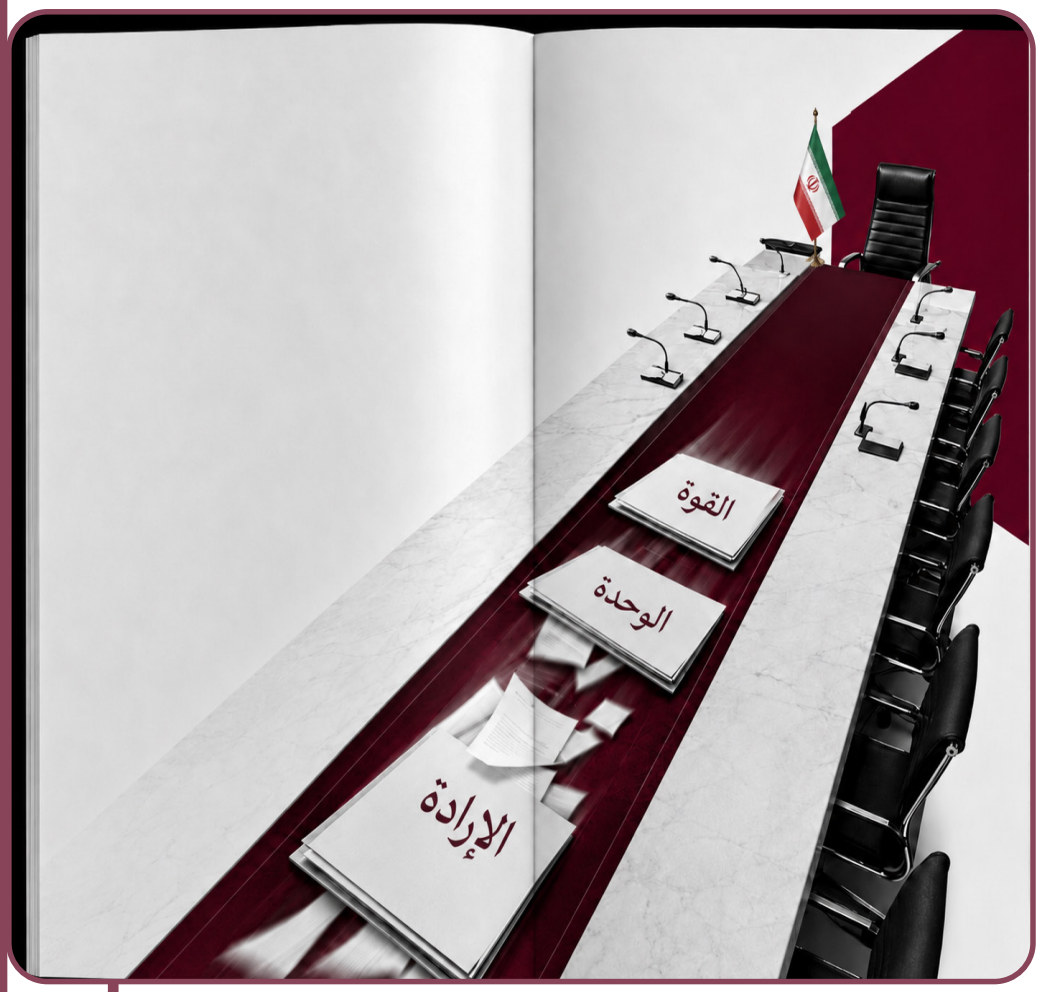

الايرانيون في مقعد القيادة

((على منصة News Frontier تم جمع شخصيتين بارزتين هما جون ميرشايمر وولي نصر، حول أهم الموضوعات المتعلقة بالاحداث الجارية في منطقتنا وخصوصاً الحرب ضد الجمهورية الاسلامية، ونتائجها ومآلاتها))

مضيق هرمز وشروط إيران الجديدة؟

جون ميرشايمر:

أعتقد أن ما حدث هنا، هو أن الإيرانيين يفهمون بوضوح شديد أنهم في مقعد القيادة، وأن الأميركيين لا يملكون تقريباً أي نفوذ على الإطلاق. ولذلك فإن الإيرانيين يفرضون صفقة شديدة جداً.

وأفضل طريقة لتوضيح ذلك هي النظر إلى شروط مذكرة ١٧ حزيران/يونيو ٢٠٢٦ التي انسحبت منها الولايات المتحدة، ومقارنتها بما تطالب به إيران اليوم.

أعتقد أنه من المذهل حقاً مقدار ما تطالب به إيران الآن مقارنة بما كانت تطالب به في السابع عشر من حزيران/يونيو في مذكرة التفاهم. وكل هذا يوضح لكم مدى الحماقة اللافتة لترامب في عدم التوصل إلى اتفاق يستند إلى مذكرة السابع عشر من حزيران/يونيو.

والآن، دعوني أشرح ما أتحدث عنه. في مذكرة السابع عشر من حزيران/يونيو، كنا، في الأساس، مهتمين بفتح المضيق. كان كلا الجانبين يريدان إنهاء حصاريهما، وفتح المضيق، وطلب الإيرانيون ووافق الأميركيون على، رفع العقوبات النفطية، العقوبات النفطية فقط، لكي يتمكن الإيرانيون من بيع النفط في الأسواق المفتوحة.

والشيء الآخر الذي كان موجوداً في مذكرة السابع عشر من حزيران/يونيو هو وقف إطلاق النار. وكان ذلك يشمل لبنان، بالطبع. لكن جميع القضايا الرئيسية الأخرى أجّلت. لم تكن هناك مطالب من الإيرانيين بأن تتم حينها تسوية ما أسميه القضايا الاقتصادية الثلاث الكبرى: العقوبات، أي قضية العقوبات الشاملة، وقضية إلتعويضات، وقضية الأصول المجمدة. كل ذلك أجّل.

وكان من المقرر التفاوض على هذه القضايا الاقتصادية الرئيسية خلال فترة الستين يوماً التي حُددت في مذكرة التفاهم. وعلاوة على ذلك، أجلت القضية النووية أيضاً.

لذلك، بمجرد أن يصبح وقف إطلاق النار قائماً ويفتح المضيق، تنتقلون بعد ذلك إلى التفاوض بشأن هذه القضايا الاقتصادية الثلاث الكبرى كما وصفتها، إضافة إلى القضية النووية.

ما حدث هنا اليوم هو أن الإيرانيين قالوا إن القضايا الاقتصادية الثلاث الكبرى يجب أن تُحل الآن وفق شروط إيران قبل أن نفتح المضيق.

قضية التعويضات، يريدون تسويتها قبل أن يفتحوا المضيق. وقضية العقوبات الشاملة يريدون تسويتها. والأصول المجمدة يريدون تسويتها. ولا يوجد أي حديث على الإطلاق عن القضية النووية، وهو أمر لافت جداً حقاً.

لذلك، لكي نتمكن من فتح المضيق في هذه المرحلة، علينا أن نقدم كل هذه التنازلات. نحن، وأعني الأميركيين، علينا أن نقدم كل هذه التنازلات بشأن هذه القضايا الاقتصادية الكبرى، من دون أن نحصل مقدماً على شيء في القضية النووية.

هذا كارثي، وهو يوضح لكم فقط مدى الحماقة اللافتة التي تصرفت بها الولايات المتحدة.

وبالمناسبة، إذا أردتم أن تأخذوا هذا خطوة

أبعد، فإذا عدتم إلى الثامن والعشرين من شباط/ فبراير والفترة التي سبقت ذلك، أليس كذلك؟ كل ما كنا نفعله في ذلك الوقت هو التفاوض بشأن القضية النووية، التي اختفت الآن على ما يبدو. وجميع هذه القضايا الأخرى، هذه القضايا الاقتصادية التي تصب، بالطبع، في مصلحة إيران، لم تكن حتى مطروحة على الطاولة. لذلك، هذا يوضح فقط مدى الحماقة اللافتة التي تصرفت بها إدارة ترامب، ومقدار المتاعب التي نحن فيها اليوم.

ولي نصر:

لا، أنا، أوافق تماماً. أعني، إذا نظرتم إلى الأمر، فمن المحتمل أن ترامب لم يكن ينوي حقاً تنفيذ تلك المذكرة أصلاً. وهذا في الواقع هو الفهم الإيراني. أنه بدأ بالغش منذ اللحظة التي وقّعها فيها.

أولاً، قال وقف إطلاق النار في لبنان فوراً، ثم توسطوا في الاتفاق بين لبنان وإسرائيل، الذي يسمح الآن لإسرائيل بقصف لبنان، إلى حد كبير، بناءً على دعوة من الحكومة اللبنانية، محاولين تهميش أي قول إيراني بشأن ذلك.

ثانياً، كان هناك وعد بعد ذلك بفك تجميد بعض الأصول الإيرانية على الأقل. بدأوا بالحديث عن

ثلاثين ملياراً، ثم أصبحت اثني عشر ملياراً، ثم ستة مليارات، ثم ثلاثة مليارات، وبعد ذلك لم يُفرج عن شيء إطلاقاً.

ثم، كما تعلمون، الاعتقاد الإيراني هو أن الولايات المتحدة كانت في الواقع تشجع الدول على كسر سيطرة إيران على المضيق، وتقول لها ألا تتشاور مع إيران: المضيق مفتوح، استخدموا قنوات لا تستطيع إيران السيطرة عليها.

ووُضعت إيران في موقف إما أن تسمح لناقلات سعودية وقطرية بالمرور، وفي هذه الحالة ستنتهي سيطرتها على المضيق بحكم الأمر الواقع، أو أن تحاول إيقافها.

وفي الواقع، يعتقد الإيرانيون، بنوع من السخرية، أن قطر والسعودية ربما قدمتا ناقلتين للولايات المتحدة كهدية، أساساً لاختبار الإيرانيين، وهو ما أدى إلى إفساد نظرتهم إلى جيرانهم.

لكن الإيرانيين قرروا إطلاق النار على هاتين الناقلتين، ثم قرر ترامب ألا يرد بطريقة محسوبة كان يمكن أن تعيد مذكرة التفاهم، بل استخدم ذلك في الواقع ذريعة للعودة إلى الحرب.

والآن، ضعوا في الاعتبار، كما قال جون، أن الولايات المتحدة قصفت إيران بصورة منهجية لمدة شهر. ولم يؤثر ذلك إطلاقاً في قدرة إيران على إغلاق المضيق.

شددت إيران إغلاق المضيق، ودمرت قدراً كبيراً من البنية التحتية في الكويت، وأجبرت الولايات المتحدة حرفياً على التخلي عن قواعدها العسكرية في الخليج، وفي الواقع نقل الكثير من معداتها إلى سوريا والأردن وإسرائيل.

وضربت إيران تلك الأهداف بطريقة فاجأت الولايات المتحدة، وخصوصاً في سوريا، ثم رشقات القصف التي ذهبت إلى الأردن.

يبدو أنه عندما عادت الولايات المتحدة إلى الحرب مع إيران، أجبرت في الواقع على الابتعاد أكثر عن الحدود الإيرانية، ونقل معداتها الحربية إلى مسافة أبعد.

وبعد شهر من القصف، هدد الرئيس بأنه، كما تعلمون، سيدمر محطات الكهرباء وما إلى ذلك. وقد قدم الإيرانيون قائمة بجميع محطات الكهرباء التي سيدمرونها في الخليج، كما تعلمون، بمعنى أننا سنقابل التصعيد بالتصعيد. فتراجع عن ذلك.

من الواضح أن الولايات المتحدة لا تملك الذخائر، سواء الذخائر الهجومية أو الدفاعية، لمواصلة قصف إيران.

وكما يقول جون، فقد دخلنا هذه الحرب لشهر إضافي فقط لكي تصبح إيران أقوى ويصبح موقفنا أضعف.

وفي النهاية، ما يقوله الإيرانيون في هذا الاقتراح الجديد هو، أولاً، أنه لم يعد هناك أي سوء فهم بشأن السيطرة على المضيق. يجب أن يكون ذلك مكتوباً بوضوح، بالأبيض والأسود. وبالأبيض والأسود، ستتم إدارة المضيق من قبل إيران بالتعاون مع عُمان. نحن سنحدد أي السفن تمر ومتى، ولن يكون هناك أي سوء فهم بعد الآن.

لذلك سنشدد صياغة المادة الخامسة لمصلحة إيران، وبعد ذلك لن ننتظر، كما تعلمون، حتى تقرروا ما إذا كنتم تريدون إعطاء المال أم لا، أو ما إذا كنتم تريدون رفع العقوبات أم لا. عليكم أن تفعلوا كل ذلك الآن.

وأعتقد أن هناك عنصراً آخر هنا، وهو تراكمي، ويتمثل في أن ترامب خلق قدراً كبيراً جداً من انعدام الثقة تجاه نفسه لدى الإيرانيين، بحيث يمنحه ذلك في الواقع نفوذاً أقل على طاولة المفاوضات مما كان يملكه من قبل.

لقد انسحب من اتفاق نووي عام ٢٠١٨. وقصف الإيرانيين مرتين في أثناء المحادثات. ذهب الإيرانيون إلى إسلام آباد، ففرض فوراً حصاراً بحرياً على إيران. وقع مذكرة تفاهم ثم قوّضها وعاد إلى الحرب.

ولذلك، كما تعلمون، حتى النفوذ الذي قد تملكونه إذا قبلتم الشروط الإيرانية، لست متأكداً من أن الإيرانيين سيكونون راضين حتى من دون وجود ضمانات معينة بأنه سينفذ الاتفاق فعلاً.

سيطرة إيران على مضيق هرمز وخيارات ترامب؟

جون ميرشايمر:

الأمر بسيط جداً. ليس لديه خيار. لقد خسر الحرب. هذه هزيمة مدمرة للولايات المتحدة.

هل يمكنك أن تقول لي ماذا ينبغي للولايات المتحدة أن تفعل لاستعادة النفوذ على إيران؟ أعتقد في الواقع أنك لا تستطيع أن تقول لي، لأننا لا نملك حلاً. ليس لدينا...

عُمان كحليف أميركي وحدود قدرة واشنطن على التأثير؟

جون ميرشايمر:

هو يعتقد ذلك فعلاً، لكن الأمر لا يهم. لا يهم إطلاقاً. ترامب لا يملك أوراقاً هنا. الأمر بهذه البساطة.

أعني، أولاً وقبل كل شيء، أنه لا يستطيع التصعيد، وهو تهديده الرئيسي، لسببين.

الأول، نفدت ذخائره، كما قال ولي نصر.

والسبب الثاني، أن حلفاءنا في الخليج قالوا له بعبارات لا تحتمل أي لبس إن ذلك غير مقبول، لأن الإيرانيين أوضحوا أنه إذا صعّدنا نحن (أمريكا)، فسوف يصعّدون هم، وسيدمرون المنشآت النفطية ومحطات تحلية المياه. وما إلى ذلك في دول الخليج الست، وسيدمرون تلك الدول فعلياً.

وترامب لا يريد السير في ذلك الطريق. ليس لديه خيارات هنا.

قبول الهزيمة الأميركية من دون تعويضات أو رفع للعقوبات؟

ولي نصر:

من الناحية التقنية، نعم، أفترض ذلك. لكن هذا يعني أساساً قبول الهزيمة بصورة واضحة جداً. أعني،

لا توجد، في رأيي، أي طريقة الآن يستطيع ترامب من خلالها الخروج من هذا، والادعاء بالنصر. هناك طبقات متعددة من الهزيمة هنا. أعني، استراتيجية أميركا تجاه إيران أصبحت الآن تهديداً لحلفائنا في الخليج، وليست في الواقع درعاً أمنياً لهم.

ترامب بدأ أساساً حرباً دمرت اقتصاداتهم، ولا يملك وسيلة لحمايتهم.

والجيش الأميركي ينفد الآن من الذخيرة، وهذا له تداعيات عالمية مع الصين وروسيا. وإيران تمسك به من حنجرته.

وعليّ أن أقول في الواقع إن العُمانيين لم يذهبوا إلى الإيرانيين من تلقاء أنفسهم. لقد ذهبوا بناءً على طلب الولايات المتحدة.

وفي المرة السابقة التي حاولوا فيها التفاوض مباشرة مع إيران، وكان ذلك قبل بضعة أشهر، هددت الولايات المتحدة عُمان بالعقوبات وبالضربات العسكرية معاً. وذلك ضد حليف.

وهذه المرة من الواضح جداً للإيرانيين أن العُمانيين لا يتصرفون بصورة مستقلة. لقد حملوا اقتراحاً من واشنطن، وهم ينقلون الاقتراحات إلى الخلف.

وأعني، لقد رأيت نص ذلك الاقتراح، لكنه واضح جداً، كما تعلمون، أن ما يقوله الإيرانيون في الأساس هو: عليكم أن تقبلوا بأنكم خسرتم هذه الحرب.

عليكم أن تضمنوا أن الحرب لن تحدث مرة أخرى. وعليكم أن تقبلوا بأن احتواء إيران قد انتهى.

وبعبارة أخرى: لا مزيد من القواعد حولنا. عليكم نقل قواتكم، وعليكم حتى رفع احتوائكم الاقتصادي لإيران، وأن تقبلوا أساساً بإيران بوصفها قوة عظمى في المنطقة.

والآن، أعتقد أن المسألة بالنسبة إلى الإيرانيين هي أن هذا أمر مهين، مهين لترامب، وأعتقد أن أحد أهداف الحرب بالنسبة إلى إيران الآن هو أن يخسر الانتخابات النصفية بفارق كبير.

أعتقد أنهم، يتحدثون عن ذلك بصورة علنية جداً.

لكـن ذلك سـيكون أمراً بـارزاً جداً. والسـؤال الآخر، و»جون» في موقع أفضل للإجابة عنه، هـو؟ هل تسـتطيع الولايات المتحـدة، ودعونا ننسـى ترامب، قبول مثل هـذه الهزيمة على يد قوة من الدرجة الثانية؟

وهل سيحسب الإيرانيون أنه، كما تعلمون، بعد عام أو عامين، سـتعيد الولايات المتحدة النظر في ما حدث الآن؟

وهذا هو السبب، في رأيي، الذي يجعل الإيرانيين يريدون الحصول مقدماً على كل ما يستطيعون الحصـول عليه. إنهم لا يريدون الانتظار الآن، لأنهـم في الواقع لا يثقون بأن أي نوع من إنهاء هذه الحرب سيكون مستقراً فعلاً.

لذلـك يريدون المـال، ويريـدون التعويضات، ويريدون تخفيف العقوبات، ويريدون نوعاً من الاعتراف بحقيقة أن الولايات المتحدة لن تكون موجودة في المنطقة.

وبعد ذلك يمكنهـم العمل انطلاقاً من ذلك ليروا ما سيأتي لاحقاً.

اهـداف إيران من أي اتفاق جديد مع الولايات المتحدة؟

جون ميرشايمر:

أوافق تمامـاً. أعتقد أن الإيرانيين يعرفون جيداً أنه بغض النظر عمن يوجد في البيت الأبيض، فإنهم لا يستطيعون الوثوق بالولايات المتحدة.

والكثير من هذا، بالمناسبة، يتعلق بقوة إسرائيل واللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة.

أعنـي، نحن نتحدث عن كون هذه هزيمة مهينة للولايات المتحدة. وأعتقد أنها هزيمة أكبر حتى لإسرائيل.

هم لا يتحدثون عنها كثيراً علناً، لأنهم لا يريدون الاعتراف بالمدى الـذي هَزمت فيه إيران ليس الولايات المتحدة فقط، بل إسرائيل أيضاً.

والإسـرائيليون واللوبي فـي الولايات المتحدة، وبالتالي أي شـخص يوجد فـي البيت الأبيض، سيبذلون جهوداً كبيرة مع مرور الوقت، لإلغاء أي اتفـاق يتم التوصل إليـه الآن، وللانتقام من إيران.

لذلك، لدى الإيرانيين مصلحةٍ عميقة في تحميل هـذا الاتفاق بكل شـيء مقدماً، كمـا قال «ولي نصر». وهذا بالضبط ما يحدث.

يجب أن تفهموا هنا أن لإيران هدفين واسعين. الأول هو تغيير ميزان القوة العسـكرية في المنطقة، وهو ما يعني إضعاف الوجود العسكري الأميركي بدرجة كبيرة. والشـيء الثاني هو إصلاح وضعهـم الاقتصادي؛ وفعل كل ما يسـتطيعون للتخلص من العقوبات واسـتعادة أصولهم المجمدة.

وفـي الواقع، امتـلاك هذه القـدرة على فرض رسـوم على السفن المارة عبر الخليج. لأن هذه طريقة لكسب المال مع مرور الوقت، إذا قررت الولايات المتحدة مرة أخرى اتخاذ موقف متشدد على الجبهة الاقتصادية.

لذلك، أعتقـد أن ما يفعله الإيرانيون، من وجهة نظرهم، منطقي بدرجة كبيرة جداً.

ولو كنت مكانهم، لفرضت صفقة شديدة جداً منذ البداية.

لقد جادلت عندما وقعوا مذكرة السابع عشر من حزيران/يونيو بـأن الإيرانيين كانوا حمقى في فعل ذلـك. لم تكن صارمة بما يكفي. وأعتقد أن الإيرانيين كانوا عندها في مقعد القيادة.

أعتقـد أنه في العام الماضي، خلال حرب الأيام الاثني عشر، وهذا من الثالث عشر من حزيران/يونيو إلى الخامس والعشرين من حزيران/يونيو ٢٠٢٥، عندمـا انتهت الحـرب أخيراً، اعتقدت أن الإيرانييـن كانوا حمقى عندمـا وافقوا على إنهائها في ذلك الوقت.

كان ينبغي لهم أن يواصلوا اتخاذ موقف متشدد، لأننـي أعتقد أن لديهم الأفضليـة على الولايات المتحدة والإسرائيليين آنذاك.

والسـبب الذي يجعلني أعتقد، مـن وجهة نظر الإيرانييـن، أنـه ينبغي لهـم أن يتخـذوا موقفاً متشدداً، هو أنكم لا تستطيعون الوثوق بالولايات المتحدة وإسرائيل بقدر ما يمكنكم رميهما بعيداً.

أزمة الذخائر وغضب ترامب من وزير الدفاع؟

جون ميرشايمر:

أجد من الصعـب تصديق أن ترامب لم يفهم أن لدينا مشكلة في الذخائر.

الجنـرال دان كيـن، وهو رئيـس هيئة الأركان المشـتركة، والذي أعتقد أنه كان صوتاً عقلانياً بشأن هذه القضية بأكملها منذ الأسابيع التي

سبقت الثامن والعشـرين من شباط/فبراير، كان يحذر ترامب من أن لدينا عدداً محدوداً من الذخائر، وأن علينا أن نكون حذرين جداً بشـأن الدخول في حرب طويلة مع الإيرانيين.

وبعد ذلـك دخلنا حرباً جوية اسـتمرت أربعين يوماً.

وأحد الأسباب التي جعلتنا ننهي الحرب الجوية التي اسـتمرت أربعين يوماً لم يكن ببساطة أننا لم نكن ننتصر فيها، بل لأن ذخائرنا كانت تنفد.

من الصعب تصديق أن ترامب لم يفهم هذا، ولا سـيما إذا ربطتم ذلـك بحقيقة أن هذا هو ما كان «كين» يقوله له طوال الوقت.

أعتقـد أن مـا يحدث هنا هـو أن ترامب يحاول إلقاء اللوم على «هيغسيث» (وزير الحرب) في الفوضى التي نحن فيها الآن.

وبالطبع، ما فعله «هيغسيث» هو أنه ألقى اللوم علـى نائبه. وقال إن نائبه لـم يُبقِه على اطلاع، ولم يتخذ الخطوات اللازمة لتصحيح الوضع.

لذلك، أعتقد أن ما سترونه في المستقبل هو لعبة إلقاء لوم ضخمة.

والأكثر إثارة للإهتمام، سـيكون من المثير جداً أن نـرى كيف سـيتعامل ترامـب ونتنياهو، أو بصورة أعم الولايات المتحدة والإسـرائيليون، بعضهم مع بعض مسـتقبلاً، لأنـه من الواضح جداً أن الإسرائيليين قادوا الولايات المتحدة إلى هذه الكارثة.

استنزاف الذخائر الأميركية وتداعيات الحرب على الصين وروسيا وأوكرانيا؟

ولي نصر:

أعتقد، كما تعلمون، أنه إذا اعتبرتم أن الخطأ الأساسي الذي ارتكبه ترامب كان قوله إن هذه الحرب ستستمر ثلاثة أو أربعة أيام فقط، وهو أيضاً ما قالته له إسرائيل وبيبي نتنياهو أعني، قبل بضعة أيام فقط، أقالت إسرائيل مسؤولين كبيرين في الاستخبارات لأنهما أخطآ بشأن مسألة تغيير النظام في إيران.

ولذلك فإن لعبة إلقاء اللوم تحدث في إسرائيل أيضاً.

لكنهم باعوا لترامب هذه الرواية القائلة، كما تعلمون: تقتل خامنئي، تنفذ القصف، سينتفض الناس، وقد يحدث توغل كردي من العراق إلى إيران.

لكن، في المحصلة، ستكون الحرب قصيرة جداً.

ومن المفترض أن ترامب أبلغ بأنهم يستطيعون إغلاق مضيق هرمز، فقال إنهم لن يكون لديهم وقت لفعل ذلك، إذ سيكونون قد اختفوا بحلول ذلك الوقت. أليس كذلك؟

فإذا بدأتم بهذا النوع من الرؤية شديدة التبسيط، فإن كل شيء آخر يتبع ذلك.

وبعبارة أخرى، خلال الأيام العشرين الأولى من الحرب، ضربت الولايات المتحدة إيران بأكثر من ثلاثمئة صاروخ «توم هوك».

وكان البنتاغون قد خصص في الميزانية سبعة وستين صاروخاً فقط للسنة المالية التالية.

وتفاخر «هيغسيث» بأننا ضربنا سبعة آلاف هدف. أعني، سبعة آلاف هدف بأسلحة شديدة التطور وباهظة الثمن وليس من السهل استبدالها، كما تعلمون، من الصواريخ والقنابل.

ومن الواضح أن ذلك لم يحقق أي أثر؛ وبعبارة أخرى، لم يُخرج إيران من الحرب.

وفي كل مرة، تكون غريزة ترامب وغريزة بيبي هي: دفعة أخرى، ضربة أخرى، وستنجز المهمة.

إذن، فلننتقل إلى شهر آخر من القصف. دعونا نفعل ذلك مرة أخرى.

وكان هذا حتى المنطق وراء انتقال إسرائيل من حرب الاثني عشر يوماً إلى حرب الأربعين يوماً.

لم ينجزوا الأمر في حزيران/يونيو من ذلك العام. ولم يتعلموا الدرس. قالوا فقط: دفعة أخرى وستنجح.

لذلك، أعتقد، كما تعلمون، أن الأمر لا يتعلق بهذه الحرب وحدها، لأنه إذا كنتم الصين أو روسيا وتنظرون إلى حقيقة أن الولايات المتحدة، بكل قوتها العسكرية، لا تستطيع حقاً خوض حرب طويلة، فهذا مهم.

فهي لا تملك القدرة الصناعية على إعادة إنتاج الأسلحة الباهظة بسرعة كبيرة.

وقد اكتشف الإيرانيون طرقاً يمكن من خلالها استنزاف تلك الذخائر عن طريق المثابرة، واستخدام جغرافيتهم، كما تعلمون، وإغراق الأهداف بأعداد كبيرة من الطائرات المسيّرة والصواريخ الرخيصة.

وأعتقد أنه، بطريقة ما، حتى عواقب هذه الحرب على الولايات المتحدة في آسيا وأوكرانيا وأماكن أخرى ستكون أطول أمداً بقليل من مجرد مسألة ما إذا كان سيقبل مذكرات التفاهم أم لا.

الحرب والبرنامج النووي الإيراني؟

جون ميرشايمر:

بالعودة فقط إلى سبب انتهاء حرب الاثني عشر يوماً، أتذكر جيداً أنه تم تقديم سببين.

الأول هو أن الإسرائيليين والأميركيين كانت ذخائرهم الدفاعية تنفد لحماية إسرائيل من الهجمات الإيرانية.

وبعبارة أخرى، كانت الصواريخ الباليستية والطائرات المسيّرة الإيرانية تبدأ في التغلب على الدفاعات التي كانت الولايات المتحدة وإسرائيل قد وضعتها، خلال حرب الاثني عشر يوماً.

لذلك، كان ذلك أحد الأسباب التي جعلتنا نتوقف.

أما السبب الآخر الذي جعلنا نتوقف، وكانت هناك تقارير إخبارية عن ذلك، فهو أن ترامب كان يحصل على أدلة، أو مؤشرات، على أن الإيرانيين كانوا سيغلقون مضيق هرمز.

ومن المهم جداً فهم ذلك.

إذن، كان تهديد الإيرانيين بإغلاق مضيق هرمز موجوداً خلال حرب الاثني عشر يوماً.

قرار مهاجمة إيران رغم مخاطر إغلاق مضيق هرمز؟

جون ميرشايمر:

من يدري؟

أعني، انظر، يجب أن تتذكر أنه في عملية اتخاذ القرار التي أدت إلى الهجوم في الثامن والعشرين من شباط/فبراير، قال له جي دي فانس، وجون راتكليف، رئيس وكالة الاستخبارات المركزية، ودان كوتس، رئيس هيئة الأركان المشتركة، وماركو روبيو، جميعهم،

إن مهاجمة إيران في الثامن والعشرين من شباط/فبراير ستكون فكرة سيئة جداً.

دور نتنياهو وديفيد برنياع في إقناع ترامب بالحرب؟

جون ميرشايمر:

ومن الواضح تماماً أن الشخصين الرئيسيين اللذين أقنعا ترامب بشن هذه الحرب السخيفة كانا، أولاً، بنيامين نتنياهو، وثانياً، ديفيد برنياع، الذي كان آنذاك رئيس الموساد.

وقد قالا لترامب إن حملة «الصدمة والرعب» التي تتضمن، استراتيجية لقطع الرأس، ستضع نهاية للنظام خلال يومين، وسنعيش بسعادة إلى الأبد.

وهذا، بالطبع، سخيف.

وكان مستشاروه الرئيسيون جميعاً يفهمون ذلك.

لكن ترامب قرر، مع ذلك، أن يستمع إلى بيبي نتنياهو وديفيد برنياع.

ادعاء وقف البرنامج النووي الإيراني؟

جون ميرشايمر:

هذه هي الحجة التي سيقدمونها الآن.

تذكر أنني قلت في بداية البرنامج إن ما يحدث هنا هو أن القضية النووية اختفت إلى حد ما.

إنه أمر لافت جداً حقاً. القضية النووية لم تختف إطلاقاً.

وبعد كل ما حدث، وتذكروا تركيزنا على انعدام الثقة الموجود في الوضع الحالي، فإن لدى الإيرانيين حافزاً أكبر من أي وقت مضى لامتلاك أسلحة نووية.

وفكرة أنهم لا يملكون الآن القدرة على فعل ذلك ليست حجة جدية.

يمكنهم بسهولة، في رأيي، إعادة تشكيل برنامجهم النووي.

ولا يزال لديهم كل ذلك اليورانيوم المخصب إلى نسبة ستين في المئة، ومن السهل الانتقال من ستين في المئة إلى تسعين في المئة.
ويمكنهم تطوير قنبلة بسهولة نسبية.
وهذا هو السبب الذي جعلنا نريد التخلص من برنامجهم لتخصيب اليورانيوم، وهو ما لم نفعله.

ولي نصر:

كما تعلمون، هذا تقدير استخباراتي تقريبي معروف، لأننا لا نعرف حقاً مقدار ما دُمر، ولا مدى السهولة التي يمكنهم بها أساساً إعادة بناء سلاسل أجهزة الطرد المركزي وإعادة تشكيل البرنامج.
لكنني أعتقد أننا لا نتحدث عن وقت طويل جداً.
نحن نتحدث ربما عن مدة من سنتين إلى خمس سنوات كحد أقصى، ليس فقط ليكونوا قادرين على التخصيب والحصول على مواد انشطارية، بل حتى لتسليحها وامتلاك عدد كافٍ من، الرؤوس الحربية التي تمنحهم الردع.
لكن، كما تعلمون، نحن الآن في وضع قد لا يفعلون فيه ذلك، بشرط أن تكون الولايات المتحدة مستعدة لدفع ثمن باهظ جداً.
وبعبارة أخرى، إذا كان من خلال مذكرة التفاهم الحالية يمكنكم جعل الولايات المتحدة توافق على وقف إطلاق نار أطول مع إيران، وتحريك قواتها إلى الخارج، وربما دفع تعويضات وما إلى ذلك، فإن الأشياء الوحيدة التي ستجعل الإيرانيين يصغون الآن هي أن تعطيهم الولايات المتحدة أشياء، لا أن تطالبهم بأشياء.
أعني، أعتقد أن الفترة التي كان يمكنكم فيها أساساً الضغط على إيران حتى تستسلم، حتى بشأن التفاصيل الفنية للقضية النووية، قد انتهت.
أعتقد أن الولايات المتحدة ستسألهم الآن أساساً: «ماذا تريدون لكي نجعل هذه القضية غير موجودة؟»، حتى إذا كانوا سيقبلون ذلك.
ولذلك، نحن نرى في هذه المطالب أن إيران أصبحت مرتاحة جداً في تقديم المطالب، والولايات المتحدة ليست مرتاحة. لذلك أعتقد أن واشنطن لم تستوعب ذلك نفسياً.
وليس البيت الأبيض فقط، بل الطبقة السياسية في واشنطن، وكثير من الصحفيين.
أعني، هذه العبارة التي يستخدمونها باستمرار وبصورة مفرطة: «إيران تبالغ في لعب أوراقها».

بالنسبة إليّ، ما يعنيه ذلك هو أننا لا نستطيع تصديق مقدار التغير الذي طرأ على هذه الصورة. لا بد أن هناك شيئاً غير واقعي في هذا.

لكن في الواقع، إيران لا تبالغ في لعب أوراقها. إنها فقط تلعب أوراقها.

الكلفة الاقتصادية للحرب ومدى مبالغة إيران في استخدام أوراقها؟

ولي نصر:

أولاً وقبل كل شيء، دعني أقول إنني لا أؤمن بهذا التقسيم بين المعتدلين والمتشددين.

أعتقد أن الانقسام في واشنطن أكبر مما هو في طهران.

«روبيو» و«فانس»، والاختلال في عملية اتخاذ القرار في واشنطن أكبر بكثير مما هو في طهران.

كل حكومة يكون لديها في نهاية المطاف نقاش بشأن السياسة.

لكنني أعتقد أن هناك إجماعاً في إيران على أنهم لن يتخلوا عن هذه الصفقة.

وهناك إجماع على أنهم أداروا الحرب بصورة جيدة جداً جداً.

وهناك إجماع على أنهم هزموا القوة العظمى، أو على الأقل جعلوها تتراجع.

فماذا لديهم ليتجادلوا بشأنه؟

حتى هذه الحجة التي أصبحت الآن شائعة جداً في واشنطن، أعتقد أن الكثير منها في الحقيقة معلومات مضللة، بشأن أن مجتبى خامنئي ميت أو أنه ليس فعلياً من يتولى القيادة.

ما الفرق الذي يحدثه ذلك؟

أياً كان من يتولى القيادة، فهو يدير الأمور بإحكام.

أعني، نحن نطرح السؤال الخطأ هنا. فماذا لو كان ميتاً أو حياً؟ لا يحدث ذلك فرقاً.

لذلك، لا، لا أعتقد أنهم يرون أنفسهم يبالغون في لعب أوراقهم.

إنهم يعتقدون أن لديهم نافذة ضيقة للحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب الاستراتيجية نتيجة قلبهم الطاولة على الولايات المتحدة.

وسيكون من غير المقبول بالنسبة إليهم ألا يضغطوا للاستفادة من تفوقهم.

فهم يعتقدون أن أجيالهم المستقبلية ستسألهم: «كانت الولايات المتحدة متراجعة أمامكم. كان هذا هو الوقت الذي كان عليكم فيه أن تطلبوا المزيد».

وسيقولون إن الولايات المتحدة فرضت حصاراً على إيران الآن مرتين، وإن كانت الولايات المتحدة أول من يرمش.

وهم يستطيعون تحمّل المعاناة أكثر من أي شخص آخر.

بعد سبعة وأربعين عاماً من المعاناة، يمكنهم أن يتحملوا المزيد.

وفي النهاية، يعتقدون أن الطريق الوحيد نحو وضع أفضل هو عبر المسار الذي يسيرون فيه.

والآن، لن أحاول أن أحكم من الخارج على ما إذا كانوا يبالغون في لعب أوراقهم أم لا، لكنني أعتقد أن بلداً استطاع خلال الأشهر الستة الماضية البقاء في مواجهة قوتين عسكريتين نوويتين تطاردانه، القوة العظمى الأولى في العالم، والجيش الأكثر تسليحاً وتقدماً تكنولوجياً في الشرق الأوسط، ومع ذلك نحن نجري هذه المناقشة.

أعتقد أنه، بشيء من التواضع، علينا أن نفكر في أنهم ربما فهموا الأمر بصورة صحيحة.

وفي الواقع، أولئك في المجتمع، وأنا لا أقصد وضع الأمر كله على ترامب فقط، بل كل شخص آخر في واشنطن، اعتقد أن سياسة إيران والطريقة التي تعاملنا بها معها كانت صحيحة طوال الوقت، وأن إسرائيل كانت على حق، كما تعلمون، من الواضح أنهم أخطأوا.

حتى الآن، لقد أخطأوا.
وفي نهاية المطاف، كما تعلمون، في المسألة الاقتصادية، إيران تعاني.
لكن «جون» قال في البداية إنهم يطلبون مكاسب اقتصادية كبيرة.
عليكم أن تدفعوا تعويضات الحرب.
وعليكم فك تجميد ما يصل إلى ثلاثين مليار دولار.
ويقال إن لدى إيران ما يصل إلى مئة مليار دولار من الأصول المجمدة حول العالم.
نحن نريد التجارة، ونريد بيع النفط لمن نريد، وعليكم أن تبتعدوا عن طريقنا.
وبمجرد أن ترفعوا العقوبات، سنتمكن بالفعل من تحصيل الرسوم بسهولة أكبر، لأننا سنتمكن فعلياً من استلام الأموال.
إذن: ألَمٌ قصير الأجل، ومكسبٌ طويل الأجل.
هذه هي الطريقة التي يرون بها الأمر.

الكونغرس وإمكانية تخفيف العقوبات على إيران؟

جون ميرشايمر:

أعتقد أنه لا شك في أن الكونغرس سيفعل كل ما يستطيع لعرقلة تخفيف العقوبات، لكن هناك أشياء كثيرة يستطيع ترامب فعلها للتعامل مع هذه القضية.

للكونغرس سيطرة محدودة على هذه المسألة.
وترامب لديه الكثير من الأوراق التي يستطيع لعبها.
وإذا رفض الكونغرس السير مع ترامب ولم يرفع العقوبات بالكامل، فيمكن للإيرانيين تعويض ذلك من خلال الرسوم.
دعني أوضح نقطة واحدة بشأن هذه المسألة كلها المتعلقة بكون إيران تبالغ في لعب أوراقها.
فكرة أنكم قد تكونون تبالغون في لعب أوراقكم تعني فعلياً القول إن على الإيرانيين أن يكونوا أكثر اعتدالاً في مطالبهم.
وإذا كانوا أكثر اعتدالاً في مطالبهم، فسيكون الأميركيون أكثر عقلانية، ويمكننا التوصل إلى طريقة للتعايش هنا.
أي إيراني يؤمن بذلك يكون قد فقد عقله.
إن فكرة أنكم تستطيعون التكيف مع الولايات المتحدة، وأن الولايات المتحدة ستتكيف مع إيران هي حجة يكذبها السجل التاريخي هنا.
والإيرانيون يفهمون تماماً أن هناك طريقة واحدة فقط للتعامل مع الولايات المتحدة، وهي اتخاذ موقف متشدد. نقطة. انتهت القصة.
وإذا بدأتم بتقديم تنازلات للأميركيين، فسوف يستغلونكم.
فقط انظروا إلى ما حدث مع مذكرة التفاهم في السابع عشر من حزيران/يونيو.
هل تحتاجون إلى أي دليل إضافي على أنكم لا تستطيعون الوثوق بالولايات المتحدة؟
لا أعتقد ذلك.

السيد عادل عبد المهدي
٢٠٢٦/٨/١٥

المصادر:

الميادين

تعدد زوجات، أم خيانات زوجية

«اتفاق مكة»: السعودية، تركيا وباكستان

المقدمة

وقعت السعودية وتركيا وباكستان في ٧ آب/أغسطس ٢٠٢٦ في مكة المكرمة «اتفاقية مكة للدفاع المشترك». والتي تنص على أن أي هجوم مسلح على أي دولة من الدول الثلاث يُعد هجوماً عليها جميعاً. وقيل في الإعلان عن التحالف إنه تم توقيع الاتفاق بهدف تعزيز الردع الاقليمي، وتطوير التعاون الدفاعي والاقتصادي وسط توترات متصاعدة في الشرق الأوسط. وقد تم التوقيع بحضور ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، والرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ورئيس الوزراء الباكستاني شهباز شريف.

لقد قسمت البحث الى ٣ أقسام:

١- توصيف وعرض الوقائع.
٢- الماضي والحاضر التوافقات والتضادات.
٣- استنتاجات وتصورات، ميزان القوى الراهن.

وأنا أعلم أن المواضيع متداخلة ومعقدة، لذلك قسمت البحث الى ثلاثة أقسام مستقلة/مترابطة. وعززتها بجداول تسهل الرؤية.

القسم الأول
توصيف وعرض الوقائع

١ - تساؤلات ومواقف أولية

- هذا ليس تحالفاً بالضد من الكيان الصهيوني، رغم إنه قد يتحول لاحقاً الى قوة مباشرة أو غير مباشرة ضد مشروع «إسرائيل الكبرى». فجميع هذه الدول ترتبط بعلاقات وثيقة بالولايات المتحدة. وبعضها يعترف بإسرائيل. رغم ذلك جاء رد الفعل الاولي لـ«إسرائيل» مشككاً. كما إن «إسرائيل» سبق ان هاجمت في خطابات العديد من مسؤوليها كل من تركيا وباكستان.

- هذا ليس تحالفاً بالضد من إيران كما صرح وزير الخارجية التركي «هاكان فيدان» في ٨ من الشهر الجاري. رغم إن التصريح يأتي بعد قصف متكرر من إيران لقواعد وممنشآت في المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج والاردن، وقصف سعودي/أمريكي لمقرات الحشد الشعبي في العراق. وفي ذات الإتجاه صرح المتحدث باسم الخارجية الإيرانية «بقائي» في العاشر من الشهر الجاري، بأنه لا يوجد مبرر لاعتبار أن الاتفاقية موجهة ضد إيران.

- فهل هو تحالف ضد حكومة صنعاء؟ إذ ترافق مع حادثة الطائرة الايرانية لنقل الوفد اليمني لتشييع المرشد الأعلى الشهيد خامنئي في تموز/يوليو ٢٠٢٦، وإندلاع العمليات الحربية بما في ذلك قصف حكومة صنعاء للداخل السعودي، اضافة لهجمات واسعة ضد تجمعات القوات المدعومة سعودياً داخل اليمن.

- فهل يمثل ذلك دليلاً على ورقية الإتفاق أم أنه يمثل ترتيبات أولية لقوة جديدة في المنطقة ستموضع مكانها تدريجياً؟ فتركيا وباكستان لم تتدخلا بعد بشكل واضح وصريح في الملف اليمني، كما ينص الاتفاق. مما يتركنا أمام استنتاج أولي أن السعودية تمتلك المال الذي تحتاجه كل من تركيا وباكستان. وتركيا تمتلك القوة العسكرية كثاني قوة في «الناتو». وباكستان دولة نووية. وتتمتع الدول الثلاثة بعلاقات جيدة عموماً في المنطقة ومع الغرب والولايات المتحدة. وأن الاتفاق هو إعلان نوايا أكثر منه خارطة واضحة للتموضع في الاوضاع الجديدة التي افرزتها عمليات «طوفان الاقصى» وحروب الاسناد والحرب العدوانية التي شنتها إسرائيل والولايات المتحدة على إيران، وانكشاف أو حدود عوامل الضعف في قوة الردع الامريكية والإسرائيلية في المنطقة.

٢- الدول الثلاث والكيان الصهيوني والولايات المتحدة والغرب:

ترتبط الدول الثلاث بعلاقات جيدة بالولايات المتحدة والغرب عموماً.

• **تركيا:** عضو في حلف الاطلسي وخاضت معه سلسلة من الحروب بعد إنضمامها للحلف في عام ١٩٥٢. أبرزها حرب البوسنة، كوسوفو (١٩٩٨-١٩٩٩)، وأفغانستان (٢٠٠٢ وما بعد). كما خاضت الحرب الكورية (١٩٥٠) تحت علم الأمم المتحدة. ولها قوات مع قوات الناتو في العراق. وتشارك بقوات ضمن قوة المساعدة الأمنية الدولية (إيساف) التي قادها الناتو، وتولت قيادة القوة في كابل لعدة فترات، واستمرت في مهام دعم غير قتالية. كما شاركت في تأمين الجناح الجنوبي للناتو وعمليات المراقبة في مناطق مختلف بالبلقان وشرق المتوسط. بالمقابل رفضت الانخراط في غزو العراق ودخول الجيوش الأمريكية وما سمي بالتحالف الدولي عبر الأراضي التركية عام ٢٠٠٣.

• **باكستان:** بسبب العلاقة الوثيقة بين الولايات المتحدة والناتو من جهة وباكستان من جهة أخرى فلقد تم منح باكستان صفة «حليف رئيسي خارج الناتو MNNA عام ٢٠٠٤، وإن ابرز المحطات هي: الحرب السوفيتية في أفغانستان (١٩٧٩-١٩٨٩). وحرب الخليج الثانية (١٩٩١) حيث ارسلت باكستان اكثر من ١١ ألف جندي الى المملكة العربية السعودية للمشاركة في الحملة ضمن التحالف الدولي. والحرب في أفغانستان. بدءاً من الحرب ضد السوفيت في ١٩٧٩-١٩٨٩، والأجتياح الأمريكي (٢٠٠١-٢٠٢١)، حيث كان التعاون بين باكستان والولايات المتحدة في الحربين على أشدهما. كما تشارك القوات الباكستانية بانتظام بجانب القوات الأمريكية تحت مظلة الأمم المتحدة، مثل التدخل في الصومال (١٩٩٢-١٩٩٥) وحرب البوسنة.

• **السعودية:** تمتد العلاقة العسكرية بين السعودية والولايات المتحدة لعقود طويلة وبدأت منذ لقاء الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت عام ١٩٤٥، وصنفت السعودية لاحقاً كـ «حليف رئيسي من خارج حلف الناتو Major Non-Nato Ally- MNNA. ويرتبط البلدان بعلاقات إقتصادية وأمنية متميزة. وخاضا سوية حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١) ضد القوات العراقية في الكويت. والتحالف الدولي ضد «داعش» في العراق وسوريا منذ ٢٠١٤. والعمليات والتحالفات الإقليمية والبحرية المختلفة طوال السنوات الماضية وليومنا هذا، بما في ذلك العدوان الامريكي الاسرائيلي الاخير ضد الجمهورية الاسلامية.

٣- علاقة الدول الثلاث بالقضية الفلسطينية والعلاقة بالكيان الصهيوني:

تتحد مواقف البلدان الثلاث فيما يخص القضية الفلسطينية سواء في المحافل الدولية او في المطالبة بقيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس. بالمقابل هناك تباين في المواقف. ففي الوقت الذي تستضيف فيه تركيا قيادات وكوادر «حماس»، فإن السعودية تضايق «حماس» خصوصاً في السنوات الاخيرة. وتتبنى السلطة الفلسطينية متمثلة بالسيد محمود عباس. وفي الوقت الذي تعترف فيه انقرة بالكيان الصهيوني وتقيم معه العلاقات التجارية والاقتصادية، فان السعودية لا تعترف بالكيان وليس لها علاقات علنية معه. والامر نفسه اوضح بالنسبة لباكستان التي ترفض أي علاقة أو اعتراف بالكيان الصهيوني.

بالمقابل تنظر «إسرائيل» الى الاطراف الثلاثة نظرة الشك والريبة. فنظرة «اسرائيل» الثابتة تتمثل في رفض أي تفوق لأية دولة عربية أو اسلامية على قدراتها الردعية في المنطقة. لهذا عارضت حصول تركيا على طائرات أف ٣٥، ورفضت قيام الولايات المتحدة ببناء قدرات نووية في السعودية، مما ارغم ترامب على التراجع واشتراط تنفيذ وعده النووي للسعودية بانضمام السعودية لاتفاقات ابراهام.

فإسرائيل تسعى بكل وسيلة للتطبيع مع السعودية. لكنها تتهم تركيا وباكستان بانهما يشكلان خطراً على مشاريعها في المنطقة. وعبرت مؤخراً عن إنها انهت تهديد «الإسلام الشيعي»، وهي تستعد لمواجهة خطر «الإسلام السني». وترفض أي تواجد لتركيا في غزة في إطار خطط «مجلس السلام» المقترح من قبل الرئيس ترامب.

الجدول الأول: عناصر مهمة في «ميثاق مكة»

الدولة	ابرز عناصر القوة	الموقع الاستراتيجي	أبرز أولوية أمنية	خصوصية داخل الاتفاق
السعودية	القوة المالية والاقتصادية	الخليج والبحر الأحمر	أمن المملكة واليمن والخليج	القوة المالية والدافع الأساس لبناء مظلة ردع جديدة
تركيا	قوة عسكرية كبيرة وعضوية الناتو	شرق المتوسط، سوريا والعراق	سوريا، الملف الكردي، شرق المتوسط	الثقل العسكري التقليدي للاتفاق
باكستان	القدرة النووية والجيش	جنوب آسيا والمحيط الهندي	الهند وأفغانستان والأمن الداخلي	تُضيف البعد النووي والاستراتيجي

٤- مواقف رسمية أو شبه رسمية لدول لها علاقة مباشرة بالاتفاق

أ- موقف واشنطن:

فهي تريده ضد إيران، إنطلاقاً من فكرة ان الاطراف الثلاثة تربطها بواشنطن علاقات جيدة. وصدر عن واشنطن تعليقات تتكلم عن توزيع الأعباء، شريطة ألا يتحول لاحقاً إلى أطر غير فاعلة أو يتخذ طابعاً معادياً للولايات المتحدة و«إسرائيل» وحلفائهما المقربين في المنطقة. خصوصاً أنه كان للسعودية في الأونة الاخيرة بعض المواقف التي لم ترق لواشنطن. كموقفها من «البترودولار»، و«أوبك بلاس»، وتعاملاتها مع الصين بالعملات الوطنية، والموقف المتذبذب من الحرب الاسرائيلية الأمريكية على إيران.

ب- موقف طهران:

شككت بعض الاصوات في طهران بالاتفاق واعتبرته محاولة لخلق منظومة ردع إقليمية تقلص من نفوذ محور المقاومة وتطويق استثماره نتائج فشل العدوان الامريكي الاسرائيلي على إيران. لكن وزير الخارجية عباس عراقجي دعا في تعليقه على الاتفاق الى وحدة المسلمين في وجه المشاريع الخارجية، بل ذهبت بعض التعليقات الإيرانية الأخرى الى الدعوة لتوسيع الاتفاق وإنضمام ايران اليه كبديل للاعتماد على المظلة الأمنية الخارجية. وصرح ممثل الإمام مجتبى الخامنئي في مجلس الأمن القومي اللواء محسن رضائي يوم ١٢ الجاري: «تتحمل إيران وباكستان وتركيا والسعودية ومصر واندونيسيا مسؤولية إتخاذ خطوات نحو تحقيق وحدة العالم الإسلامي».

ت- موقف تل أبيب:

إتسم الموقف الاسرائيلي الرسمي والاعلامي من التحالف الثلاثي بحالة من القلق الحذر والترقب. وسط تقديرات بأن هذا التكتل يعيد رسم موازين القوى في المنطقة ويخلق مظلة ردع جديدة قد تقيد الحركة الاستراتيجية لـ«اسرائيل» في المنطقة. وأشارت وسائل الإعلام العبرية (قناة ١٢ مثلاً) الى ان التحالف يمثل تكتلاً اقليمياً وازناً يجمع بين المال السعودي والقدرات العسكرية التركية والردع النووي الباكستاني، مما قد يقلص النفوذ الاسرائيلي المنفرد. كما تنظر المؤسسة الأمنية في إسرائيل إلى تركيا كتحدٍ إقليمي متصاعد، بينما تثير باكستان هواجس إضافية لعدم وجود علاقات دبلوماسية معها، اضافة الى مخاوف من أن توفير إسلام آباد لمظلة درع نووية قد يغير قواعد اللعبة بالمنطقة. وقد تتعامل «اسرائيل» تكتيكياً مع التحالف. فهي تدرك بان الاتفاق أعلن كاطار دفاعي ولم يوجه صراحة ضد «اسرائيل»، ولذلك قد تلجأ «إسرائيل» ظاهرياً لغض الطرف أو الاكتفاء بمراقبة التفاصيل التنفيذية للاتفاق بانتظار اتضاح ملامحه العملية على الأرض.

ث- موقف صنعاء:

هاجمت صنعاء الاتفاق ووصفته بـ«التخبط» ومحكوم عليه بالفشل، معتبرة أن اقصى ما ستحصل عليه الرياض هو التقاط الصور التذكارية. واعتبرت وزارة الخارجية في صنعاء الاتفاق دليلاً على مأزق وتخبط السعودية. وطالبت صنعاء الرياض بانهاء الحصار على اليمن ووقف الأنشطة العدائية ضدها بدلاً من عقد التحالفات. ووجهت صنعاء الدعوة الى الرياض لعقد تحالفات تخدم القضية الفلسطينية وحماية المسجد الاقصى، بدلاً من البحث عن مظلات أمنية إقليمية أو دولية.

الجدول الثاني: كيف تنظر الأطراف الخارجية الى «ميثاق مكة»

الدولة	الموقف من الإتفاق	مصدر القلق أو المصلحة	الإتجاه المحتمل
واشنطن	قبول مشروط	الحفاظ على إرتباط الدول الثلاث بالمنظومة الغربية	دعم تقاسم الأعباء مع مراقبة إتجاه الإتفاق
طهران	حذر مع إنفتاح	إحتمال إستخدام الاتفاق لتطويق إيران ومحور المقاومة	الدعوة الى تعاون إسلامي أوسع
تل أبيب	قلق وترقب	إجتماع القوة التركية والمال السعودي والقدرة الباكستانية	مراقبة التنفيذ وتجنب المواجهة المبكرة
صنعاء	رفض وإنتقاد	إعتبار الاتفاق محاولة سعودية لبناء مظلة جديدة	التشكيك في قدرته على تغيير الواقع اليمني.

٥- نظرة أولية لما يمثله الإتفاق:

أ- فإن كشفت الأيام القادمة عن فاعلية جدية للاتفاق، وأنتقلت الأمور من الاتفاقات الورقية، الكثيرة خصوصاً في الأونة الاخيرة، الى الفاعلية العملية، فمن حقنا أن نسأل عن مآلات غرق باكستان وتركيا في حرب عمرها في اليمن ١٢ عاماً ولم تنتهِ؟ خصوصاً وأن الفقرة الواردة في «ميثاق مكة» والتي تنص «أن أي هجوم مسلح على أي دولة من الدول الثلاث يُعد هجوماً عليها جميعاً» هي مشابهة في المبدأ -وليس مطابقة قانونياً- للمادة الخامسة من ميثاق «الناتو».

ب- أم أن الاتفاق يمثل بداية الخرائط الجديدة في منطقة غرب آسيا؟ فهناك أمر يزداد وضوحاً. وهو تراجع المظلة الأمنية/الإقتصادية الأمريكية. وأن مذكرة التفاهم الموقعة بين الرئيسين بزشيكيان وترامب في ١٧ حزيران ٢٠٢٦ ، هي الحجة الدامغة لتبني هذه الرؤية. فمعظم، إن لم نقل جميع بنود المذكرة البالغة ١٤ بنداً، اعتبرت تنازلاً من الولايات المتحدة وكسباً كبيراً لإيران.

ت- وأمام كل هذه الحقائق المتضادة، هل من حقنا الاستنتاج مسبقاً بأن الاتفاق قد يكون خطوة لملىء فراغ بدأ يظهر واضحاً إقتصادياً وأمنياً في المنطقة بسبب تراجع قوة الردع الامريكية والاسرائيلية والغربية عموماً. وأن ما سيمنحه الحياة او -على العكس- يبقيه حبراً على ورق، هو ليس النوايا الانية والمباشرة للاطراف الموقعة، بل الحقائق التي ستفرض نفسها على الارض، والمواقف العملية للاطراف الثلاثة من الأحداث المستقبلية من جهة، وبقية الاطراف الداخلية والخارجية الفاعلة في المنطقة من جهة أخرى.

الجدول الثالث: شبكة علاقات الدول الثلاث بالقضايا الفاعلة

الدولة	أمريكا والغرب	تل أبيب	فلسطين	إيران
السعودية	علاقات أمنية وعسكرية وثيقة	لا إعتراف رسمي وفق البيان الرسمي	تؤيد قيام دولة فلسطينية	منافسة إقليمية مع محاولات تهدئة
تركيا	عضو في الناتو	إعتراف وعلاقات دبلوماسية	خطاب داعم، ومؤيدة لحماس.	تعاون وتنافس في الوقت نفسه
باكستان	علاقات تاريخية وثيقة مع واشنطن	لا إعتراف ولا علاقات دبلوماسية	موقف داعم لفلسطين	علاقات جوار وتعاون مع بعض الخلافات الأمنية

ازالة ما تبقى من ماضي العثماني في السعودية ومنها تدمير قلعة «اجياد» التاريخية العثمانية في مكة في عام ٢٠٠٢

القسم الثاني

الماضي والحاضر، والتوافقات والتضادات

تفكيك المواقف وإعادة تركيبها:

بسبب تداخل مواقف الدول الثلاث الموقعة على «وثيقة مكة» فيما بينها، ومع مختلف قوى المنطقة والخارج، فإنه سيصعب فهم أو تقييم مآلات «اتفاق مكة» بدون تفكيك عمق وتاريخ مواقف مختلف القوى الفاعلة في المنطقة وإعادة تركيبها، لنكون أقرب الى فهمها والبناء بموجبها.

- **فهناك** مواقف متقاربة بين قوى التحالف نفسها، ومواقف متناقضة.

- **وهناك** مواقف متقاربة او متضاربة بين كل قوة من القوى الثلاث والقوى الإقليمية أو الدولية.

أ- طبيعة العلاقات بين الدول الثلاث لـ«اتفاق مكة».

تركيا والسعودية:

إنتقلت العلاقات السعودية التركية منذ عهد الدولة السعودية الأولى وحتى اليوم من الصدام التاريخي، والتنافس الاقليمي، إلى التقارب مؤخراً.

• أندلعت معارك واسعة في اوائل القرن التاسع عشر بعد أن رأت الدولة العثمانية في توسع الدولة السعودية الاولى خروجاً عن طاعة الخليفة وتهديداً لنفوذها في الحجاز، ما دفع الوالي العثماني في مصر محمد علي باشا لتسيير حملات عسكرية للدرعية. وفي ١٩١٦ قامت الثورة العربية الكبرى (١٩١٦) ومثلت محطة فاصلة لإنهاء الحكم العثماني في المشرق العربي. وبعد تأسيس المملكة عُقدت معاهدة الصداقة والاعتراف (١٩٢٩). ومرت العلاقات في التسعينات بفترة برود، أعقبها فترة توتر خلاف «الربيع العربي» (٢٠١١)، وتأييد تركيا لحكم الإخوان في مصر، ثم الوقوف بجانب قطر عند محاولة تطويقها وغزوها من قبل السعودية والامارات وغيرهما (٢٠١٧)، وصولاً الى مقتل جمال الخاشقجي في القنصلية السعودية في تركيا (٢٠١٨). لتعقب ذلك كله مرحلة تهدئة وتحسن كبير في العلاقات.

• التنافس على الزعامة التقليدية: شهدت الفترة بين ٢٠١٧ و ٢٠٢٠ تجاذبات حادة وملفات متضاربة في ليبيا، سوريا، وبعض دول القرن الافريقي.

• الانفراج والتعاون الاستراتيجي الحالي: شهدت الفترة الاخيرة طياً لصفحة الخلافات، وبدء مرحلة جديدة من التنسيق الاقتصادي والدفاعي، توجت باعلان «اتفاقية مكة».

• أولويات تركيا وتباينها عن أولويات السعودية: تتبنى تركيا عقيدة «الوطن الأزرق» والأمن القومي المتكامل لحماية حقوق التنقيب عن الطاقة في مساحات بحرية شاسعة. وتُعتبر تركيا مشاكل الشرق الاوسط خاصة سوريا والأمن الكردي اولوية دفاعية ملحة وعاجلة لمنع أي تهديد على حدودها المباشرة. بينما يُعد الصراع مع اليونان وقبرص حول الحدود البحرية والطاقة أولوية استراتيجية ومستقبلية تتعلق بثروات الاجيال والسيادة الاقليمية، وإقتراب مصر والأردن من هذا المحور كمحاولة لعزلها وحرمانها من حقوقها البحرية المشروعة.. وتعتبر تركيا الساحتين مترابطتين. فالاستقرار أو النفوذ في الشرق الأوسط (ليبيا، سوريا والمنطقة) يمنحها أوراق قوة تفاوضية وجيوسياسية تؤثر طرداً لصالحها.

• الأمن الحدودي ومكافحة الارهاب: تعتبر انقرة التهديدات القادمة من شمال سوريا والعراق خطاً أحمر متعلقاً بوحدة أراضيها.

• الفرص والتحولات الميدانية: مكنت التطورات الأخيرة في سوريا تركيا من تعزيز حضورها ومحاولة هندسة بيئتها المجاورة بما يخدم استقرارها الداخلي.

• الورقة الاقتصادية والسياسية: تستخدم تركيا ملفات اللاجئين والتعاون الاقليمي مع دول الخليج والعراق لتحقيق مكاسب اقتصادية وتخفيف الضغوط الدبلوماسية.

• اعلنت تركيا ان انتماءها لهذا الحلف لا يضر بكونها عضواً في الناتو (اليونان وقبرص). كما أعلن وزير خارجيتها في ٨ آب/اغسطس الجاري بان التحالف غير موجه ضد إيران.

باكستان والسعودية:

• احتفظت باكستان دائماً بعلاقات جيدة مع السعودية. كما أحتفظت بعلاقات جيدة بالولايات المتحدة. يتولى الحكم في باكستان اليوم إئتلاف يقوده رئيس الوزراء شهباز شريف، والرئيس آصف زرداري. وعصب القوة فيه الجيش فيه بقيادة المشير عاصم منير اللاعب الأقوى وصاحب النفوذ الفعلي في إدارة المشهد السياسي والأمني بالبلاد. وهو الذي سمح بالاطاحة بحكومة «عمران خان» المناوئة للولايات المتحدة في نيسانٍ/إبريل ٢٠٢٢. باكستان هي من اعلنت في حرب الـ ١٢ يوماً في صيف ٢٠٢٥ انها تقف مع إيران ضد العدوان الإسرائيلي. باكستان النووية تعلن مراراً وتكراراً وقوفها مع فلسطين وضد اية عمليةٍ تطبيع مع «إسرائيل». فعين باكستان موجهة إستراتيجياً نحو الهند. ولديها اليوم مشاكل مع إفغانستان، ولها علاقات استراتيجية وثيقة بالصين المنافسة أيضاً للهند. وهذا كله يجب أن يؤخذ في الحساب عند تشخيص دورها في «ميثاق مكة»

• بالمقابل تتمتع السعودية بعلاقات جيدة مع الهند. وفي إطار الاتفاقات الإبراهيمية والتطبيع وطروحات «إسرائيل الكبرى»، تم طرح الممر الاقتصادي بين الهندٍ والشرق الاوسط وأوروبا IMEC. والذي أعلن عنه رسمياً في أيلول/سبتمر ٢٠٢٣ خلال قمة مجموعة العشرين في نيودلهي. بمذكرة تفاهم دعت لها الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي وضمت الهند والسعودية والامارات وفرنسا والمانيا وايطاليا. واثارت يومها في الإعلام ضجة كبيرة كاحدى المشاريع التي ستغير وجه الشرق الاوسط وموازين القوى فيه.

ب- طبيعة علاقات الدول الثلاث ببقية الدول الفاعلة في المنطقة:

الدول الثلاث وإيران ومحور المقاومة

• **تركيا:** تتذبذب العلاقات بين إيران وتركيا فيما بين التعاون الاستراتيجي والتنافس الجيوسياسي. فالدولتان تشتركان في الجغرافيا والمصالح الاقتصادية ومواجهة الحركات التي تسعى للانفصال او الاستقلال في المنطقة. بينما تتصارعان بحدة حول النفوذ الاقليمي في سوريا والعراق وجنوب القوقاز. فالبلدان يخشيان الكيانات الكردية المسلحة (مثل حزب العمال الكردستاني البي كي كي، والحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني –حدكا، والكومله، وحزب الحرية الكردستاني –الباك، وحزب الحياة الحرة الكردستاني -بيجاك، ومنظمة النضال الكردستاني الايراني-خبات). وهي احزاب يراها البلدان مهددة لوحدتهما الترابية، مما يخلق تنسيقاً أمنياً بينهما. وفي فترات سابقة مثلت اجتماعات الاستانة نقطة لقاء مهمة بين البلدين وروسيا في الملف السوري، وضعت خططاً للخروج بسوريا من أوضاعها السابقة. لكن دعم تركيا لعملية التغيير في سوريا أوجد هواجس تزعزع الثقة بين الطرفين.

رغم ذلك تستمر العلاقات التجارية بين الطرفين ولديهما تبادل تجاري وفي مجال الطاقة واسع النطاق. كما للبلدين مواقف مشتركة فيما يخص القضية الفلسطينية، وكذلك مصالح اقتصادية وأمنية في العراق وبلدان القوقاز.

فتسعى كل دولة لبسط نفوذها السياسي والاقتصادي والأمني في الساحة العراقية. ويبلغ حجم التبادلٍ التجاري بين تركيا والعراق نحو ١٤-١٦ مليار دولار سنوياً. بينما يبلغ ٩-١٢ مليار دولار بين إيران والعراق. مما يجعل البلدين أكبر الشركاء التجاريين والاقتصاديين لبغداد. وتشير تقارير مراكز الإبحاث والدراسات الميدانية الى وجود نحو ٦٤-٨٠ موقعاً وقاعدة عسكرية تركية في شمال العراق وإقليم كردستان متوغلة بعمق يصل الى ٤٠ كم داخل العراق، حيث المعسكرات ومهابط الطائرات والاف الجنود مما يشكل أزمة مستمرة مع بغداد في هذا المجال. بالمقابل لايران نفوذ كبير على الكثير من الفصائل العراقية التي قاتلت مع ايران في حربها ضد صدام حسين والتي اشتركت ايضاً في التصدي لداعش قبل ٢٠١٤ وبعدها والتي تقف معها في محور المقاومة اليوم.

وتثير العلاقات التركية الايرانية الاذربيجانية هواجس وقلق إيراني حيال تقليص نفوذ طهران وتواجد إسرائيلي بالقرب من حدودها. فأذربيجان الشيعية مذهبياً، والتركية قومياً تشكل نقطة تجاذب مهمة بين البلدين.

باكستان:

تشترك إيران وباكستان في حدود برية بطول نحو ٩٠٩ كيلومترات، وعلاقات تاريخية وإسلامية طويلة وعميقة، يتخللها بعض التوترات الأمنية الحدودية بشأن الجماعات الانفصالية البلوشية، وتحديات اقتصادية مشتركة، الى جانب تقارب استراتيجي ومصالح مشتركة تجاه ملفات إقليمية كالصين وأفغانستان وفلسطين والأمن والإقتصاد، الخ. فيرتبط الطرفان بعلاقات وثيقة مع بكين (مثل مشروع الممر الاقتصادي الصيني الباكستاني والتعاون الاستراتيجي مع طهران. .الدور الذي لعبته وتلعبه باكستان في المفاوضات بين إيران والولايات المتحدة، وتوقيع مذكرة التفاهم في ١٧ حزيران/يونيو ٢٠٢٦

السعودية:

تتركز القضايا المشتركة والخلافية بين ايران والسعودية حول ملفات النفوذ الاقليمي كأمن الطاقة والتعاون الدبلوماسي، حيث تتأرجح العلاقات بين مساعي التهدئة والخلافات الجيوسياسية. ويمكن القول بان طابع الخلاف هو الاعم، دون أن ينفي ذلك رغبة مستمرة بتطبيع العلاقات والوصول الى تفاهمات مستدامة. إذ حصلت تهدئة بعد إتفاق سعودي إيراني بوساطة عراقية/عُمانية بدأت في أيلول/سبتمبر ٢٠١٩. وحققت إعلان إتفاق تعاون برعاية صينية عام ٢٠٢٣. ويشترك البلدان في منظمة المؤتمر الإسلامي وفي «اوبك بلاس»، وغيرهما، رغم الملفات المعقدة بينهما.

والتي من ابرزها الخلاف حول سلسلة القضايا في تواجد القواعد العسكرية في المنطقة والمواقف من العراق وسوريا ولبنان واليمن قضايا التطبيع مع الكيان الصهيوني، وكذلك من الملف النووي والحرب الاخيرة التي شنت على إيران. وموقف السعودية الذي رأت فيه إيران التفافاً على مذكرة التفاهم الموقعة بينها وبين الولايات المتحدة في ١٧ حزيران/يونيو ٢٠٢٦، ودور السعودية الريادي في إصدار بيان مجلس وزراء دول مجلس التعاون الخليجي في المنامة، بحضور وزير الخارجية الامريكي «ماركو روبيو» في ٢٥ حزيران/يونيو ٢٠٢٦

الجدول الرابع: إيران والدول الثلاث: تعاون أم تنافس؟

العلاقة	مجالات التقارب	مجالات الخلاف
إيران – باكستان	الصين، أفغانستان، فلسطين، التجارة والطاقة	أمن الحدود، الجماعات البلوشية، العقوبات الأمريكية
إيران – تركيا	التجارة والطاقة، مواجهة النزعات الإنفصالية، منع الحرب الإقليمية	سوريا، العراق، أذربيجان، التنافس على النفوذ
إيران – السعودية	أمن الطاقة، خفض التصعيد، العلاقات الدبلوماسية، فلسطين	اليمن، النفوذ الإقليمي، الوجود الأمريكي، الملف النووي، الالتفاف على مذكرة التفاهم حزيران ٢٠٢٦

الدول الثلاث والملف اليمني:

• **العلاقات التركية اليمنية:** شهد التاريخ حروباً طويلة بين الخلافة العثمانية واليمن عُرفت بالحروب اليمنية العثمانية. وهي سلسلة طويلة من النزاعات والمعارك المستمرة بين الدولة العثمانية والإمامة الزيدية في اليمن، والتي امتدت متقطعة منذ عام ١٥٣٨م وحتى توقيع إتفاقية دعان في ٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩١١م.

• **العلاقات السعودية اليمنية:** حُكمت اليمن من قبل الأئمة الزيدية. وذلك مع تأسيس الإمام الهادي يحي بن الحسين «للدولة الهادوية» في صعدة عام ٨٩٧م. والتي أنتهت بسقوط الحكم الإمامي إثر الحركة العسكرية ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٢، بقيادة المشير عبد الله السلال وإعلان الجمهورية. وهي فترة تمتد نحو ١٠٦٥ عاماً تخللتها أنقطاعات وسيطرة لدول وسلطات يمنية أخرى. وأعقب الحركة مواجهات داخلية استمرت ثمان سنوات (١٩٦٢-١٩٧٠) بين أنصار الجمهورية، بدعم مصري، وأنصار الملكية، بدعم سعودي. أنتهت بسيطرة المعسكر الجمهوري، لكن دون ان تترك تداعيات ما زالت فاعلة الى يومنا هذا.

• **حكومتا صنعاء وعدن:** لفهم الوضع اليمني لابد من العودة إلى أحداث صعدة وبروز قيادة السيد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله تعالى عليه، في اواخر القرن الماضي وبدايات الالفية الثانية. اسس الشهيد حسين بدر الدين الحوثي تنظيم «الشباب المؤمن» كحركة فكرية وثقافية في محافظة صعدة متأثرة بالثورة الإيرانية ونهج حزب الله في لبنان. ومع أحداث الغزو الأميركي للعراق والإحداث في فلسطين والمنطقة اتخذت الحركة خطاباً مناهضاً للسياسة الأميركية والغربية، ورفع شعار «الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود» في المساجد والمسيرات وخلال المعارك.

ـ ومع إنتشار الحركة أصدرت الحكومة في حزيران/يونيو ٢٠٠٤ أمراً باعتقال الشهيد حسين الحوثي الذي تحصن مع انصاره في جبال مران بمحافظة صعدة. واندلعت اشتباكات عنيفة بين الجيش اليمني انذاك المدعوم من السعودية، وأنصار السيد الحوثي استمرت شهوراً. واستخدمت فيها القوات الحكومية الاسلحة الثقيلة للسيطرة على معقله في جبل مران. وفي ١٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤ استشهد السيد حسين بدر الدين الحوثي في منطقة «جرف سلمان». ومن يزور المنطقة سيرى اثار تلك المعارك التي ما زالت واضحة ليومنا هذا. لم تنتهِ الحركة باستشهاد مؤسسها، بل تحولت الى سلسلة من الحروب المتعاقبة بين الحكومة والحوثيين بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠١٠. وانتقلت القيادة الروحية والعسكرية تدريجياً الى اخوه السيد عبد الملك الحوثي. الذي وسع من نطاق سيطرة الحركة على اجزاء واسعة من اليمن.

ـ بدأت الصدامات الداخلية التي ما زالت جارية في اليمن مع أحداث «الربيع العربي» في ٢٠١١ وأحداث صعدة، ثم سيطرة «أنصار الله» المتحالفين مع إيران على العاصمة صنعاء، والتي أطاحت بالرئيس علي عبد الله صالح. تلاها مرحلة أنتقال سياسي تعثرت مخرجاته، لينتهي الأمر باجتياح أنصار الله لصنعاء ومدن اخرى في خريف ٢٠١٤. وتصاعدت ببدء عمليات «عاصفة الحزم» بقيادة التحالف العربي (السعودية والإمارات أساساً، ومن خلفهم الولايات المتحدة والغرب) في ٢٠١٥.

القسم الثالث

إستنتاجات وتصورات... ميزان القوى الراهن

لاشك أن الملف اليمني، والقضية الفلسطينية والحرب على إيران ونتائجها وما قد ترتبه من فراغ أمني هي الموضوعات الغائبة الحاضرة في «إتفاق مكة». لهذا سنخصص هذا القسم لملامسة حقائق تتعلق بهذه القضايا الأساسية.

١ - ميزان القوى الراهن في اليمن:

بعد هدنة ٢ نيسان/ابريل ٢٠٢٢ برعاية الأمم المتحدة لمدة شهرين قابلين للتمديد بين الرياض وصنعاء تضمنت، أو من نتائجها وقف العمليات العسكرية ووقف التصعيد، وتعيين ضباط إتصال، والسماح لمفاوضات مباشرة وقنوات إتصال مستمرة، ودخول المشتقات النفطية وفتح الطرق وتسهيل حركة المدنيين، وبدء رحلات جوية محدودة من وإلى مطار صنعاء، الخ. وهي الحالة التي استمرت بين تصعيد وتهدئة الى يومنا هذا. ومع بدء «طوفان الأقصى» وحرب الإبادة على غزة، انخرطت صنعاء بشكل موسع في عمليات الإسناد وتأكيد مفهوم «وحدة الساحات» وإعلان الإنتماء لمحور المقاومة. فاغلقت البحر الأحمر أمام السفن الإسرائيلية او المتجهة نحو الموانىء الإسرائيلية. ودأبت على اطلاق المسيرات والصواريخ على ميناء إيلات (أم الرشاش) في خليج العقبة وغيره من الاراضي الفلسطينية المحتلة، مما قاد إلى اغلاق الحركة في الميناء بشكل تام تقريباً. وتعرضت صنعاء ومحافظات اليمن الاخرى لقصف اسرائيلي/أمريكي/بريطاني عنيف. ودخلت صنعاء في معارك ضارية مع الاسطول الامريكي الذي ارسل بالتناوب حاملات الطائرات «ترومان» و «ايزنهاور» و»لينكولن». والتي ابتعد بعضها عن مسرح العمليات تجنباً للهجمات الصاروخية اليمنية. أو حتى الانسحاب نهائياً بعد خسارة عدد من الطائرات الحربية وتحقق إصابات مباشرة عليها. مما قاد الى عسكرة البحر الأحمر واستقطاب عسكري غير مسبوق في مضيق باب المندب. وظهور تحالفات دولية مثل «حارس الإزدهار» بقيادة واشنطن وعملية «أسبيدس» الأوروبية لتأمين الملاحة، والتي فشلت جميعها في تحقيق أهدافها. وهو ما قاد الى تخوف الشركات الكبرى من التطورات التي كانت صنعاء تدخلها. ومنها إدخال الغواصات والزوارق المسيرة. وهو ما دفع حركة الشحن البحري العالمي والناقلات النفطية إلى تجنب قناة السويس والالتفاف حول رأس الرجاء الصالح، مما تسبب في رفع تكاليف الشحن والتأمين عالمياً.

٢ - مدى سيطرة صنعاء على الميدان اليمني:

يبلغ عدد سكان اليمن ٣٠- ٤٣ مليون نسمة. وسبب الفارق هو عدم وجود تعداد سكاني منذ ٢٠٠٤. فتعتمد البيانات على تقديرات اعداد السكان الحالية على الاسقاطات والتقديرات الرياضية للنمو السكاني. بينما تبلغ مساحة اليمن ٥٢٨-٥٥٥ ألف كم مربع. والارقام ادناه حول عدد السكان، في حدها الادنى والأعلى، تعتمد على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء اليمني، والتوقعات المعتمدة من منظمات الأمم المتحدة، والموقع الدولي للإحصاء السكاني CityPopulation وWorldmeter.

٣- لحكومة صنعاء غلبة واضحة في عدد السكان

بحدود ٦٠-٨٠٪ منهم. ولحكومة عدن غلبة واضحة في المساحة التي تحت تصرفها، بحدود ٣٥-٤٠٪ منها. علماً ان عدد محافظات اليمن هي ٢٢ محافظة بما فيها محافظة أرخبيل سقطرى التي اضيفت في ٢٠١٣. ويوضح الجدول الخامس هذا الواقع.

الجدول الخامس: ميزان السيطرة في اليمن. أ- الصورة العامة

المؤشر	حكومة صنعاء	حكومة عدن
الحصة التقريبية للسكان	٦٠-٨٠%	النسبة المتبقية
الحصة التقريبية للمساحة	٣٠-٤٠٪	٦٠-٧٠٪
طبيعة مناطق السيطرة	شمال وغرب اليمن، كثافة سكانية مرتفعة	جنوب وشرق اليمن، مساحة واسعة وكثافة قليلة.

الجدول السادس: توزيع المحافظات اليمنية. ب- الصورة الخاصة

مستوى السيطرة	المحافظات	السكان التقديريون (بالمليون)
سيطرة كاملة لصنعاء	أمانة العاصمة، صنعاء، صعدة، عمران، المحويت، ذمار، ريمة، حجة، إب	١٥,٦١٨,٠٠٠ – ٢٢,٣٣٤,٠٠٠
سيطرة واسعة/ وغير متكاملة	الحديدة، البيضاء، تعز، مأرب، الجوف، الضالع، أبين	٩,٥٦٩,٠٠٠ – ١٣,٦٨٤,٠٠٠
سيطرة عدن	حضرموت، عدن، لحج، شبوة، المهرة، سقطرى.	٤,٨٧٩,٠٠٠ – ٦,٦٧٩,٠٠٠

٤- أهميــة فهم الواقع الديموغــرافي والجغرافي لليمن:

بدون هذا التقييم سنسـقط تحت تأثـيرات اللاواقعية. فالكلام عن «الشـرعية الدولية» مثلاً، والتي هي عموماً متبنيات تعتمدها واشـنطن والغرب لشـيطنة أطراف تعاديها، ومحاباة أطراف اخرى توالیها. فالواقع الميداني يبرهن ان الحوثين، أو أنصار الله ليسوا مجرد ميليشيات او جماعات، أو أذرع لإيران، كما يصورون. فهناك تاريخ كامل وقضايا وطنية لا علاقة لإيران بها. فهم اليوم جزء أساسي في المعادلة اليمنية. لهذا فشلت كل المحاولات الحربية لمعالجـة موضوع اليمـن بدونهـم. وان «ميثاق مكة» سيفشـل يقيناً إن كان أحد أهدافه الاساسـية الإنتصار لوجهـة نظر أحاديـة. ولا ياخذ بالاعتبـار الواقع اليمني الحقيقي. فحكومة صنعاء ليست هي من يمتلك الأموال والاسـلحة والتحالفات مع الـدول الغربية وواشـنطن وألأنظمة الاقليمية. وإن سـعة سـيطرتهم ديموغرافياً وجغرافياً تمثل دليلاً مؤكداً على أهميتهم الفائقة، وعلى موازين القوى في البلاد. وهو ما يجب أخذه في الاعتبار عند رسم السياسات الوطنية المطلوبة.

٥- الـدول الثـلاث وبقية القـوى الفاعلة في المنطقة وفي العالم:

يقدم الجدول السـابع نبذة عن مواقف بقيـة الدول الفاعلة من أطراف «ميثاق مكة».

الجدول السابع: موقف القوى المحيطة بالاتفاق

٦- حقائق لابد من ذكرها قد تكون في خلفية اللقاءات

القوة	علاقتها بالإتفاق	العامل الأكثر تأثيراً
مصر	حذر ومصلحة في توازن إقليمي مختلف	العلاقة بالسعودية والخلاف مع تركيا
الإمارات	موقع معقد بسبب خلافاتها الإقليمية	خلافات مع السعودية وتركيا
الهند	تنظر بقلق إلى النفل الباكستاني	الصراع الهندي – الباكستاني
الصين	علاقات قوية مع باكستان وايران والسعودية	الطاقة والممرات والاستثمار والتوازن مع الغرب وبريكس وشنغهاي
روسيا	مصالح مشتركة مع عدة أطراف	إيران، السعودية وأوبك بلس
أفغانستان	علاقتها بباكستان وإيران	توتر كابل-إسلامآباد، والتقارب مع إيران
العراق	علاقتها بإيران وتركيا والسعودية	الهجوم السعودي/الامريكي الاخير، والسعي للتهدئة.

أ- تهافت مشروع وضع السنة ضد الشيعة، او العكس:

عملت وتعمل الاوسـاط الاجنبيـة والمريضة في المنطقة علـى إعتمـاد سياسـة «فرق تسـد». ولعـل أبـرز الاوراق المسـتخدمة منذ أمد بعيد هو الورقة الطائفية والمذهبية. وهي ورقة ناجحة أدت أغراضهـا في مراحل متعددة. لكنها ورقة أيلـة الى السـقوط والتهاوي. فلا السـنة ضعفـاء ليتم اعتداء الشـيعة عليهم، ولا الشـيعة ضعفاء ليتم اعتداء السنة عليهم. والحقيقة أن مشـاريع الوحدة قد أنتصرت دائماً على مشاريع الحـروب الطائفيـة. لذلك نشـهد ان الصراعات وسياسـات «فرق تسـد» هي أكثر في الوسـط الواحد، عما هي عليه بين الفرقـاء المختلفيـن في المذهب والطائفـة. لا نريد ان نتناول الموضوع بسـذاجة أو بساطة أو حتى حسن نية. بل نعتقد أن هناك حقائق موضوعية تقف حاجزاً أمام مثل هذه المشـاريع لتقبرهـا بعد فترة من ولادتها. وسـنقدم هنا مثالين سـريعين، وهناك أمثلة أخرى.

ب- دور فلسطين ومحاربة الاستعمار وقضايا الأمة المشتركة:

مهما كانت الخلافات الفقهية أو السياسية لكن المشتركات الوحدويـة أكبر بكثير من الخلافـات والاختلافات المرحلية. فاتخذ الطرفان مواقف مشتركة في قضايا الأمة الكبرى. ودافع شـيعة العراق عن الدولة العثمانية رغم تعرضهم للاضطهاد من قبلها في مواجهة الإنزال البريطاني في الشـعيبة عام في ٦ تشـرين الثاني/نوفمبـر ١٩١٤. ووقف الجميـع في ثورة العشـرين ضد البريطانيين بقيادة العلماء الشـيعة في النجف الأشرف.

بالمقابل تحالفت «الأنظمة السنية» القريبة من الاستعمار فـي المنطقـة العربية والاسـلامية مـع النظام الشاهنشـاهي واستنجدت بالقوات الأيرانية لمواجهة الحركات التحررية في الخليج والمنطقة. ولم تتم إثارة الموضوع الشـيعي او الخوف من إيران. وأشـتركت تركيا وباكسـتان والعراق وإيران مع بريطانيا في حلف بغداد العسـكري في شباط/فبراير ١٩٥٥. وذلك كله خلاف ما حصل بعد الثورة الإسلامية. إذ تصدت ذات الانظمة التي كانت تتعاون مع إيران في فترة الشاه، للتماهي مع الحملة العالمية التي قادتها الولايات المتحدة و«إسرائيل» لشـيطنة إيران وإثارة النعرة الطائفيـة والحرب عليها. رغم ان عقيدة البلاد بقيت هي نفسـها نفسـها في المرحلتين. بل أن الفتـاوى التي يعتمـد عليها المتطرفون لتكفير الشـيعة والتي تعتمـد على فتاوى أبن تيمية الـواردة في «مجموع الفتاوى» وكتبه كـ«منهاج السـنة» تضمنت اتهامات منها موالاة الكفار والمشـركين واليهود والنصارى ضد أهل السنة. معتبراً ذلك من صفـات النفاق والخيانة للأمة. هذه كانت تبريراته لتكفير الشيعة. فلو طبقنا هذا المعيار في ظروفنا الراهنة، لوجدنا إن الملتزميـن بفتاويه والمروجين لها هم من يوالون اليوم الكفار والمشركين، وأن الشيعة يقفون تماماً بالضد من ذلك.

- فلسطين مفتاح القضايا:

تلعب فلسطين دوراً مركزياً في توحيد قوى الأمة بعيداً عن النعرات المذهبية والطائفية. بل أن الموقف من فلسطين ومواجهة الكيان العنصري الاستيطاني الصهيوني هو المعيار الأساسي الذي يميز بين الحق والباطل، والسياسات التي لها مستقرات ثابتة في الأرض، والاخرى المستوحاة من مصالح الخارج والتي ستؤول يقيناً إلى الفشل. فها هي إيران الشيعية تدفع الثمن الغالي لدفاعها عن «حماس» و«الجهاد الاسلامي» المنظمتين السنيتين. وكذلك اليمن وموقف حزب الله وفصائل المقاومة في العراق تقف بكل صلابة مع فلسطين. مثلما وقفت كل الجماهير السنية في مختلف البلدان ضد العدوان الامريكي الاسرائيلي على إيران. ولم تنطلِ عليها اللعبة الطائفية والمذهبية.

ت- قوة الشيعة والسنة صمام آمان للوحدة:

يخطىء من يعتقد أن الشيعة يمثلون أقلية في منطقة غرب آسيا. إذ غالباً ما تسعى الدعاية المعادية الى تبيان الشيعة كأقلية. لترتب عليها قناعات وسرديات سياسية تهيء في الاذهان لمن يجب ان يقود أو يحكم. ومن يجب أن يخضع أو يقبل بوضع المواطن من الدرجة الثانية. ويمثل فهم التوازن السكاني –بغض النظر عن النوايا- صمام آمان مهم للحفاظ على العلاقات الايجابية ووحدة الأمة. إضافة إلى أنه ضروري لتفسير ظواهر يصعب تفسيرها دون تقديم تشريح سياسي للخارطة المذهبية. وهذا جدول لا يُختلف على أرقامه حسب المصادر الدولية. لكنه يختلف في الطريقة التي تتبعها بعض المصادر كـ Pew مثلاً (مركز أبحاث أمريكي، يهتم بمختلف الاستبيانات والاحصاءات). فهذا المركز عندما يتكلم عن فريق لا يميز بين الاشاعرة وأنوع الصوفية أو السلفية والوهابية. بل يعتبرهم كتلة واحدة. وعندما يأتي الى الشيعة فإنه يفصل إختلافاتهم أو انشقاقاتهم عنهم (كالعلويين والنصيرية والدروز وغيرهما). ولأن الموضوع أخذ أبعاداً سياسية، فإنه لابد أن نذكر ما يعتبر أساساً أو جذراً بدون مركباته وإنقساماته، أو أن تُحسب الفروع والإنشقاقات مع اساساتها وجذرها عند الطرفين. مع إدراكنا أن الخلافات – وحتى الصراعات- داخل المذهب وفروعه، قد تكون أكبر من الخلافات بين الشيعة الإمامية، والسنة الأشاعرة مثلاً. وقس على ذلك. ولأن للموضوع أبعاداً سياسية. فيجب توحيد المعايير. وفي هذا الجدول تم إضافة كافة التفرعات والإنقسامات إلى التيارين الرئيسيين.

الجدول الثامن: التوازن الشيعي السني في منطقة غرب آسيا

الدولة	صافي عدد المسلمين	% السنة بمكوناتهم	عدد السنة (بالملايين)	% الشيعة بمكوناتهم	عدد الشيعة (بالملايين)	المذاهب المدمجة بالكتلة الشيعية
إيران	٨٨,١١٠,٠٠٠	١٠,٠	٨,٨١١,٠٠	٩٠,٠	٧٩,٢٩٩,٠٠٠	الجعفرية، أهل الحق الاسماعيلية
تركيا	٨٦,٠٦٧,٠٠٠	٨٣,٠	٧١,٤٣٦,٠٢٥	١٧,٠	١٤,٦٣١,٠٠٠	العلويون، الشيعة، التركمان الشيعة
العراق	٤٤,٥٩٠,٠٠٠	٣٧,٠	١٦,٤٩٨,٣٠٠	٦٣,٠	٢٨,٠٩١,٠٠٠	الإمامية، الشبك، الفيلية، التركمان الشيعة
اليمن	٣٥,٠٠٠,٠٠٠	٦٥,٠	٢٢,٧٥٠,٠٠٠	٣٥,٠	١٢,٢٥٠,٠٠٠	الزيدية، الاسماعيلية،
السعودية	٢٤,٥٠٠,٠٠	٨٧,٠	٢١,٣١٥,٠٠٠	١٣,٠	٣,١٨٥,٠٠٠	الإمامية، الإسماعيلية والزيدية
سوريا	٢١,٨٥٥,٠٠٠	٨٠,٠	١٧,٤٨٤,٠٠٠	٢٠,٠	٤,٣٧١,٠٠٠	العلويون، الدروز، الإسماعيلية، الإمامية
الأردن	٨,٠٣٦,٠٠٠	٩٩,٠	٧,٩٥٥,٦٤٠	١,٠	٠,٠٥٢,٣٦٠	الدروز والشيعة الإمامية
عُمان	٢,٨٠٠,٠٠	٥٠,٠	١,٤٠٠,٠٠٠	٥٠,٠	١,٤٠٠,٠٠٠	الاباضية، والشيعة اللواتية، والإمامية
لبنان	٢,٩٢٥,٠٠٠	٤٥,٠	١,٣١٦,٢٥٠	٥٥,٠	١,٦٠٨,٧٥٠	الإمامية، الدروز، العلويون
فلسطين	٥,٢٩٢,٠٠٠	٩٩,٠	٥,٢٣٩,٠٠٠	١,٠	٥٢,٩٢٠	الدروز والإمامية
فلسطين (٤٨)	٢,٠٠٠,٠٠٠	٩٢,٠	١,٨٤٠,٠٠	٨,٠	١٦٠,٠٠٠	الدروز والعلويون
الكويت	١,٥٠٠,٠٠٠	٧٥,٠	١,١٢٥,٠٠٠	٢٥,٠	٠,٣٧٥,٠٠٠	الإمامية
الإمارات	١,٢٠٠,٠٠٠	٨٥,٠	١,٠٢٠,٠٠٠	١٥,٠	٠,١٨٠,٠٠٠	الإمامية
البحرين	٧٧٠,٠٠٠	٤٠,٠	٠,٢٨٨,٠٠٠	٦٠,٠	٠,٤٣٢,٠٠٠	الإمامية
قطر	٣٢٠,٠٠٠	٩٠,٠	٠,٢٨٨,٠٠٠	١٠,٠	٠,٠٣٢,٠٠٠	الإمامية

ملاحظة:

تم أعلاه إعتماد أعداد المواطنين، واستبعاد المقيمين والوافدين. إذ يتم الكلام عن ٦٣ مليون نسمة لمجموع دول مجلس التعاون الخليجي، بينما يبلغ عدد حملة الجنسية من مختلف الأديان والطوائف ٢٦,٨٦٠,٠٠٠ من مجموع السكان، أي ٤٢،٦٣٪ من السكان. ويمثل الوافدون والمقيمون ٥٧،٣٧٪. فنسب المواطنين هي: ٥٤٪، ١٠٪، ٥٤٪ ٣٠٪، ١١٪، و٤٤٪ في كل من السعودية، الإمارات، عُمان، الكويت، قطر، البحرين على التوالي. والباقي هم من المقيمين والوافدين.

وبهذا يكون اجمالي المسلمين في منطقة غرب آسيا هو ٣٢٤,٩١٥,٥٠٠، واجمالي أهل السنة والجماعة: ١٧٨,٧٦٦,٢٩٥ بنسبة ٥٥,٢٪ واجمالي الشيعية بمكوناتها المدمجة هو ١٤٦,١٤٩,٢٠٥ بنسبة تقارب ٤٤,٩٨٪.

يضاف إلى ذلك أنه في الفقه الإسلامي والتاريخ الديموغرافي فان الصوفية مثلاً ليست مذهباً فقهياً مستقلاً (كالسنة والشيعة)، بل هي مسلك تعبدي وروحي ينتمي أغلب سالكيه الى أحد مذاهب الاشاعرة. لكن هناك طرق صوفية «فلسفية وعرفانية» كـ«البكتاشية» مثلاً (تأسست عام ١٢٨٢م)، تدمج بين التصوف والتشيع العلوي. ومعلوم أن «البكتاشية» كانت عقيدة الجيش العثماني الانكشاري (١٣٦٣م-١٨٢٦م). فغرست «البكتاشية» في وجدان «الإنكشارية» حباً خاصاً لآل البيت عليهم السلام. وحملت خصوصاً في العقيدة والأوردة ميولاً ومظاهر تتعلق بذكر الإمام علي والأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

ويمكن الذهاب أبعد في هذا النقاش لاولئك الذين يريدون استغلال المواضيع المذهبية والطائفية لإغراض سياسية من منطق الاغلبية والأقلية، سواء أكانوا من الشيعة أو السنة. فرغم ان التكفيريين يقودون معارك ضارية ضد الشيعة وبقية السكان، لكن المعارك التي تدور في أفغانستان وباكستان وسوريا والسودان وليبيا والجزائر والصومال والعديد من البلدان الافريقية هي أساساً بين التكفيريين والسنة وبقية السكان أيضاً. لذلك يجب الحذر من ركوب الموجة الطائفية. فالبناءات والحسابات الخاطئة قد تغري البعض للانخراط فيها، لكن الغرق في مستنقعاتها يقود عادة لكوارث مؤلمة.

إستنتاجات ونتائج

الجدول التاسع: احتمال بقاء الاتفاق حبراً على ورق، أو تحوله إلى قوة إقليمية

السيناريو	ماذا يعني؟	ما الذي يدفع اليه؟
إتفاق رمزي	يبقى إطاراً سياسياً دون إلتزام عملياتي حقيقي	تضارب أولويات الدول الثلاث
تحالف دفاعي محدود	تعاون عسكري ومالي واستخباراتي وتسليحي دون قيادة موحدة	المخاوف الأمنية المشتركة والحاجة الى الردع
نواة لنظام إقليمي جديد	يتحول الى قطب أمني مستقل نسبياً عن المظلة الغربية	إستمرار تحول موازين القوى الإقليمية وتراجع الاعتماد على الخارج والأجنبي

١ ـ لا نعتقد أن «اتفاق مكة» سيصنع ـ على الاقل في المدى المباشر ـ ترتيبات تغير كثيراً من واقع الامور في المنطقة.

فكل دولة تجد أولوياتها في مصالحها المنغمسة فيها أصلاً، قبل ان تجدها في واقع جديد شبيه بحلف شمال الاطلسي، كما يقولون. ففي «الناتو» كان هناك قائد صاعد قوي صمم على مواجهة النفوذ السوفيتي آنذاك (١٩٤٩) وهو الولايات المتحدة. وفي «ميثاق مكة» نفتقد مفهوم القيادة. والكلام عن حلف دفاعي اقتصادي وأمني يزيد الأمر غموضاً. ففي «الناتو» كان هناك هدف واضح وهو فرض الستار الحديدي على الاتحاد السوفياتي. الذي قام بدوره برعاية «حلف وارشو» في ١٩٥٥ والدخول في حرب باردة ومواجهات بالوكالة استمرت لاكثر من ٥ عقود. فتشبيه النفوذ الإيراني بالنفوذ الروسي بعد الحرب العالمية الثانية وصعوده، هو مقاربة خاطئة تماماً. من حيث التوقيتات، والحالة الصاعدة أو الهابطة التي يتمتع بها كل طرف. بل على العكس قد يتمخض «إتفاق مكة» ـ إذا لم يستبطن مشروعاً للمواجهة بين قوى المنطقة أو حرباً على اليمن- ستؤسس لسد فراغ متوقع أو يحصل فعلاً. بسبب صمود إيران ومحورها، وفشل إسرائيل والولايات المتحدة والغرب عموماً في تحقيق اهدافهم لكبح موجة المقاومة الصاعدة. وهذا النجاح من جهة والفشل من جهة أخرى لا يتأتى من اخطاء فنية، او نواقص شكلية. بل من حالة تراجع تاريخية يعيشها الغرب والولايات المتحدة، وصعود قوى جديدة تسجل في كل يوم تقدماً عليه اقتصادياً وأمنياً وأخلاقياً وقانونياً ومؤسساتياً. فهناك شيخوخة من القوى الاستعمارية السابقة، أمام نهضة من القوى المستعمَرة السابقة. فنحن أمام حقيقة بنيانية ووجودية. وأن الازمة الحالية التي يعيشها الغرب هي ليست حلقة في دورة تراجع وإنكماش ستليها مرحلة تقدم وازدهار. فعوامل الازدهار القديمة التي كانت توفرها المستعمرات تتلاشى الواحدة تلو الاخرى. وان حصة الغرب والولايات المتحدة في الكعكة العالمية تتراجع. لذلك يتراجع نفوذها. وسيتراجع معه حتماً نفوذ الكيان الصهيوني الذي بني من اساسه على الدعم والتبني الخارجي. فما يتعزز اليوم من تصاعد قوى المقاومة في القواعد الشعبية بات ينعكس تدريجياً على البنى الفوقية من أنظمة وحكومات، وإن «ميثاق مكة» سيبقى حبراً على ورق إن هو اراد لنفسه أن يكون جزءاً من النظام القديم، وعلى عكس ذلك قد يكون خطوة شجاعة إن وضع نفسه في سياقات الصعود التاريخي لنهضة الشعوب والأمم.

٢ ـ اخترنا عنواناً للبحث هو: «تعدد زوجات، أم خيانة زوجية. اتفاق مكة: السعودية، تركيا وباكستان» للتعبير عن حدث يستبطن علاقات متعددة ومتداخلة ومتغيرة. بعضها متوافق وبعضها متضاد. بعضها حلال وبعضها حرام. بعضها مطمئن وبعضها مقلق. بعضها واضحة المعالم، وبعضها غامضة ومدغمة. بعضها إنتهت أو ينتهي أجلها، وبعضها بدأت أو تبدأ للتو. فالعالم الجديد يبني نفسه. فتنهار قلاع وترتفع مكانها قلاع أخرى. وأحداث الحرب الاخيرة منذ «طوفان الاقصى»، وليومنا هذا قلبت كافة المعادلات والموازين السابقة. ومنطقتنا تغير العالم وتتغير معه.

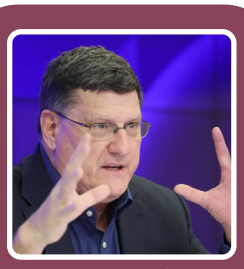

سكوت ريتر

٢٠٢٦/٨/١٩

المصادر:

Trump’s Latest Move Has Taken the War to a Dangerous New Level

أمريكا: هزيمة منظومة ونظام، وليس قوى وقدرات

دونالد ترامب يعيش في عالم خيالي

أعتقد أن إيران تتعامل انطلاقًا من أساس قائم على الحقائق. إنها تتحرك ضمن حدود الواقع كما حدده أداؤها خلال الصراع بينها وبين الولايات المتحدة وإسرائيل. لم تتجاوز حدودها. كل ما فعلته إيران أمر منطقي. لا أقول إن على الناس أن يؤيدوا ما تفعله؛ يمكن أن تقول: «أنا لا أؤيد ما تفعله إيران»، لكنه تصرف منطقي استنادًا إلى ما نعرفه عن قدرات إيران. وهم لا يدّعون القدرة على فعل أشياء لا يستطيعون تنفيذها فعليًا.

وهذا هو النقيض تمامًا لما تفعله الولايات المتحدة. **دونالد ترامب يعيش في عالم خيالي، عالم يتأثر بشدة بضغوط لا تأتي من المنطقة التي دارت فيها الحرب، بل من الداخل الأميركي، مع اقتراب انتخابات التجديد النصفي.**

دونالد ترامب يسعى إلى رسم صورة ترضي الناخبين الأميركيين، لكنها لا تعكس الواقع بالضرورة.

اتفاق الدفاع الجديد بين السعودية وباكستان وتركيا

أعتقد أن لا أحد يفهم بالضبط ما هو هذا الاتفاق. من المفترض أنه اتفاق للدفاع الذاتي الجماعي، يشبه إلى حد ما المادة الخامسة من ميثاق الناتو: الاعتداء على دولة واحدة يُعد اعتداءً على الجميع. لكن دعنا نكون صريحين: باستثناء الترتيبات القائمة بين باكستان والسعودية، حيث توفر باكستان قوة بشرية للسعودية، لا توجد عقيدة عسكرية مشتركة.

إذًا الناس يقولون إن هذا هو «ناتو الشرق الأوسط»؟

لا، ليس كذلك. أين عقيدتهم العسكرية الموحدة؟ هل تستطيع وحدات عسكرية سعودية العمل مع وحدات عسكرية تركية بصورة متوافقة عملياتيًا؟ إذا وضعت كتيبة سعودية على خط القتال وكتيبة تركية إلى جانبها، فهل تستطيعان تنسيق عملياتهما؟ هل لديهما المنظومة اللوجستية نفسها؟ هل يتحدثان اللغة نفسها؟ لا. وماذا عن باكستان؟ لا. باكستان لديها منظومتها الخاصة. لذلك فإن قواتهم الجوية لا تعرف كيف تقاتل بعضها إلى جانب بعض. هل لديهم عقيدة جوية موحدة؟ هل لديهم القدرة على تبادل رموز التعارف «IFF» بحيث لا يسقط أحدهم طائرة الآخر؟ المسألة في معظمها نظرية.

ومن الأشياء التي يقولونها إن الاتفاق لا يلغي أي ترتيبات أمنية قائمة. كيف تتعامل إذًا مع تركيا والناتو؟ هذه مشكلة منذ البداية. ثم هناك مبدأ «الاعتداء على دولة واحدة هو اعتداء على الجميع»، ولكن ماذا عن صراع ينشأ نتيجة سلوك عدواني من إحدى الدول المشاركة؟ ماذا لو دخلت باكستان في حرب إطلاق نار مع الهند؟ هل يعني ذلك أن على السعودية وتركيا مساندة باكستان إذا ضربت الهند باكستان ردًا على شيء فعلته باكستان؟

تركيا، وفق بعض التفسيرات، تحتل حاليًا جزءًا من قبرص، وقبرص عضو في الاتحاد الأوروبي. وتركيا موجودة في سوريا، وفي شمال العراق. فإذا دخلت تركيا في حرب مع إسرائيل بسبب سوريا، فهل تأتي السعودية لمساعدة تركيا؟ وهل يُعد ذلك دفاعًا عن النفس؟ وهل تأتي باكستان لمساعدة تركيا؟

وماذا عن السعودية وصراعها المستمر مع أنصار الله في اليمن؟ هل يُفترض أن تأتي باكستان وتركيا لمساعدة السعودية؟ هذا اتفاق بلا معنى. لا معنى له إطلاقًا.

ربما يكون خطوة في الاتجاه الصحيح، لكن أي اتجاه؟ هل هو ضد إيران؟ يقولون لا. وكما قلت، الإيرانيون لا يبدون مهددين به. هل هو ضد إسرائيل؟ هم لا يقولون ذلك، لكن هذا هو الانطباع الضمني.

لكن هناك سؤال كبير بلا جواب: كيف يرتبط هذا الاتفاق بالهندسة الأمنية التي تهيمن عليها الولايات المتحدة والقائمة حاليًا؟ السعودية لم تفصل نفسها عن الولايات المتحدة. وبحسب آخر ما أعلم، فإن السعودية مرتبطة بأميركا أكثر من ارتباطها بما يمكن أن نسميه «ميثاق مكة» بين الدول الثلاث.

وتركيا عضو في الناتو. فهل ستقف تركيا فعلًا ضد الولايات المتحدة، وهي عضو في الناتو؟ هذا الاتفاق بلا معنى، لا معنى له إطلاقًا. إنه كلام مرتبك وفوضوي ويحتاج إلى مزيد من التفكير.

كنت في تركيا وتحدثت إلى أشخاص قريبين من نظام أردوغان، ينتمون إلى حزب سياسي مختلف لكنهم متعاطفون معه. وكان تركيزهم على أن تركيا ينبغي أن تكون مصطفة مع إيران وروسيا والصين. أما هذا الاصطفاف فيبدو كأنه يأخذ تركيا في الاتجاه المعاكس تمامًا.

من يدري؟ ربما هناك رؤية ما. لكن يصعب عليّ أن أتخيل أنهم يحاولون إخراج إيران من الصورة. ومع ذلك، عندما تنظر إليه، يبدو كأنه هلال مصمم أساسًا لاحتواء إيران، وليس هلالًا لاحتواء إسرائيل.

لذلك أعتقد أن هذه الخطوة جاءت لأن هذه الدول قلقة من فراغ قد ينشأ نتيجة انهيار الهيبة الأميركية في المنطقة، وهي تخشى أن تسعى دول أخرى إلى استغلاله، مثل إسرائيل وعلاقتها بالإمارات العربية المتحدة.

وهناك أمر آخر: ماذا عن مجلس التعاون الخليجي؟ كنت أعتقد أن لديه مكوّنًا عسكريًا أيضًا. هل انسحبت السعودية منه؟ مرة أخرى، هذه وثيقة بلا معنى، وبما أنها بلا معنى فهي غير قابلة للتنفيذ.

وضع شمال قبرص بموجب القانون الدولي؟

الفكرة هي أن تركيا تتعامل مع شمال قبرص بوصفه امتدادًا لتركيا. فعندما يتعلق الأمر، مثلًا، بالتنقيب عن النفط والغاز في المياه المحيطة بقبرص، تقول تركيا: «هذا لنا»، بينما تقول قبرص: «لا، هذا لنا». وهذا يتعارض أيضًا مع التصورات والمشروعات الإسرائيلية. وتركيا تطبق الفلسفة نفسها على بحر إيجة.

والنقطة التي كنت أثيرها بشأن قبرص هي: ماذا يحدث إذا دخلت تركيا في حرب إطلاق نار مع اليونان؟ ماذا لو استيقظت اليونان ذات صباح وقررت تنفيذ ضربة استباقية ضد الأتراك؟ أنا لا أقول إن ذلك سيحدث، لكن ماذا لو حدث؟ هل تأتي السعودية لمساعدة تركيا استنادًا إلى «ميثاق مكة»؟

هل تضع باكستان ترسانتها النووية في مواجهة اليونان؟ الجواب: لا. وهذا يعني أنه اتفاق بلا معنى.

هذا كل ما كنت أقصده. لم أقل إن الوجود التركي في شمال قبرص غير شرعي. ما أقوله هو أنه يخلق مجموعة شديدة التعقيد من المشكلات الجيوسياسية، ويضع تركيا في مواجهة ليس فقط مع اليونان، بل مع جميع دول شرق البحر المتوسط.

تذكّر أن تركيا وسّعت حدودها البحرية استنادًا إلى اتفاق مع حكومة طرابلس في ليبيا، على ما أعتقد، وهو اتفاق رسم عمليًا خطًا في المنتصف، وغيّر كل شيء فيما يتعلق بحقوق النفط والغاز. فرنسا لا توافق عليه، ومصر لا توافق عليه، ولا أحد تقريبًا يوافق عليه سوى تركيا وذلك الجزء من ليبيا. لكنه يغير كل شيء ويخلق احتكاكات قد تقود إلى صراع.

ماذا يحدث إذا دخلت تركيا في مواجهة عسكرية مع فرنسا؟ وقد كاد هذا أن يحدث بالفعل مرة بسبب ليبيا. تذكّر القافلة التركية التي كانت تتحرك، عندما حاول الفرنسيون اعتراضها استنادًا إلى ما وصفوه بقاعدة ما للاتحاد الأوروبي. وقال الأتراك لهم: «إذا اقتربتم أكثر فسنغرق سفينتكم». فقال الفرنسيون: «لا تستطيعون إغراقنا، نحن فرنسيون». وكان رد الأتراك بمعنى: «جرّبوا.»

فماذا يحدث إذا اندلع إطلاق النار؟ فرنسا قالت إنها ستدعم اليونان مهما حدث. فإذا هاجمت اليونان تركيا، تدخل فرنسا على الجانب اليوناني،

وعندها تصبح لديك مواجهة داخلية تشمل دولًا في الناتو. هل ستدخل السعودية فعلًا في وسط كل ذلك؟ الجواب لا. ومع ذلك يُفترض أن هذا الاتفاق يقوم على الدفاع الذاتي الجماعي؟ هذا ما أقصده عندما أقول إنه بلا معنى.

السعوديون يشترون الجيوش

بالضبط. الشيء الوحيد الذي يمنح السعودية وزنًا عسكريًا هو باكستان. هذا كل شيء. إذا أخرجت باكستان من المعادلة، فلن يبقى لدى السعودية شيء.

لقد أنفقوا أموالًا ضخمة على الأسلحة، لكن لو واجه الطيارون السعوديون قوة جوية حقيقية فسوف يُسقطون من السماء. والجيش السعودي لا يستطيع القتال. ولهذا لديهم علاقة مع الباكستانيين. السعوديون يشترون الجيوش، ولا يدرّبون جيوشهم. لذلك لا تمتلك السعودية شيئًا يُذكر عسكريًا.

إسرائيل لا تخشى، مثلًا، فرقة سعودية تسير عبر الأردن باتجاهها. بل ربما تتمنى حدوث ذلك، لأن تلك الفرقة ستُهزم لوجستيًا قبل أن تصل.

وهذا يجعل السعودية، عسكريًا، نقطة غير مؤثرة في هذه المعادلة، وهو ما يثير السؤال: ماذا يحاولون أن يفعلوا هنا؟

كان من الأفضل للسعودية أن توسع المصالحة التي توسطت فيها الصين، لا بالضرورة لإنشاء تحالف دفاعي رسمي مع إيران، بل لجعل الأمر واضحًا بأن السعودية وإيران لا توجد بينهما مشكلة عسكرية، ولا تهديد عسكري، وأن السعودية انتهت من الارتهان لأميركا.

وهناك نقطة أخرى: هذا الاتفاق كله بلا معنى ما دامت السعودية تسمح للقوات الأميركية باستخدام قواعدها. ما دام هناك وجود عسكري أميركي في السعودية، فإن هذا الاتفاق بلا معنى. لا يعني شيئًا. إنه، من وجهة نظري، أمر هزلي ومحرج ومهين لأنه لا يعني شيئًا فعليًا. هذه هي نقطتي.

هم لا يخشون مجلس التعاون الخليجي إطلاقًا. لا أحد يخشى مجلس التعاون الخليجي. وإذا كان هناك من هو أقل جاهزية بدنية من السعوديين، فهي بعض دول المجلس التي لا تمتلك جيوشًا إلا لأنها تستقدم مرتزقة من الخارج، وكثير منهم باكستانيون.

الباكستانيون لديهم جنود جيدون، وكثير من الدول تستعين بهم. لكن فكرة أن القوات الخاصة البحرينية ستأتي لتثير الرعب في الإيرانيين هي مجرد مزحة. وإذا كنت تنتظر أن تنشئ الكويت جيشًا يمتلك قدرات حقيقية، فأنت تنتظر عبثًا.

الناتو لم يعد يفيد تركيا في شيء

السبب هو أن الولايات المتحدة تخلت عنهم ووضعتهم في موقف شديد الصعوبة. والسبب أيضًا أن إسرائيل شعرت بأنها قادرة على مهاجمة قطر من دون عواقب، لأن الولايات المتحدة وعدت بشيء لا تستطيع الوفاء به.

لكنني لا أرى أن الدافع سعودي فقط. تذكّر أن السعودية لديها أصلًا اتفاق استراتيجي مع باكستان. هذا موجود. وما لدينا هنا يشبه ذلك، لكن تركيا كانت تحاول منذ البداية أن تدخل في هذا الترتيب. تركيا هي التي تحاول أن تُقحم نفسها في المنطقة.

لذلك أقول: نعم، لدى السعودية حاجة إلى هذا الأمر، وهي بالطبع استضافته، لكن تركيا أيضًا كانت من القوى الدافعة الرئيسية إليه، لأنها مقيّدة بعضويتها في الناتو.

الناتو لم يعد يفيد تركيا في شيء تقريبًا. ولا توجد فائدة حقيقية، في رأيي، ما لم تزود الولايات المتحدة تركيا بمقاتلات «إف-خمسة وثلاثين» من دون شروط وعواقب خاصة. عندما تعطي الولايات المتحدة تركيا مقاتلات «إف-خمسة وثلاثين» بالشروط نفسها التي تمنحها بها لبقية دول الناتو، عندها تستطيع تركيا أن تقول: «نعم، نحن عضو في الناتو».

لكن تركيا اليوم عضو في الناتو بالاسم فقط، ولديها مسارها الخاص، وجزء كبير من أولوياتها الدفاعية يقع خارج إطار الناتو.

تركيا تنظر إلى الواقع وتدرك أنها لن تصبح دولة أوروبية، وأن أوروبا أغلقت الباب في وجهها إلى حد كبير، وأن اتجاهها الاستراتيجي في ظل أردوغان هو نحو آسيا الوسطى والشرق. وهذا لا يُفترض أن يكون مسار صراع، بل مسار تعاون وتكامل اقتصادي.

لكن ماذا عن تركيا وقطر؟ لا أحد يتحدث عن ذلك، لأن السعوديين والقطريين ليست بينهم علاقة جيدة، وان لتركيا وجودًا عسكريًا مهمًا في قطر، وكان يُفترض أن يعمل رادعًا في مواجهة أي ضغط عسكري سعودي على قطر. فكيف ينسجم ذلك مع الاتفاق الجديد؟

وماذا عن الوجود التركي في الصومال؟ وماذا عن الوجود البحري التركي في أنحاء البحر الأحمر، وما تحاول تركيا فعله في السودان؟

لذلك أعتقد أن هذا جزء من محاولة تركيا احتواء المنطقة ضمن نفوذها، أكثر مما هو محاولة سعودية لاحتواء تركيا. أعتقد أن أردوغان وتركيا هما المحرك الحقيقي هنا، لأنه يحتاج إلى التوجه في هذا الاتجاه، وكان يريد الإلتحاق باتفاق دفاعي سعودي-باكستاني قائم أصلًا.

السعودية والمؤسسة الدينية

أعتقد أن المحرك الأكبر هو محمد بن سلمان ورغبته في أن يضع نفسه في موقع الملك القادم للسعودية. هناك قدر كبير من المعارضة داخل السعودية. لا أستطيع أن أقول إنني أعرف كل شيء بدقة، لكننا نعرف أن محمد بن سلمان أشرف بمرور الوقت على اعتقال عدد من أفراد العائلة، ومن بينهم أمراء كانوا يشكلون مشكلة سياسية محتملة بالنسبة إليه.

نحن في الخارج ننظر ونقول: «محمد بن سلمان، إنه الرجل القوي»، لكنني لا أعتقد أنه في الداخل واثق من قبضته على السلطة بالقدر الذي يتصوره.

وهو يقدم نفسه بوصفه صاحب رؤية، سواء من حيث ما يمكن أن يفعله للسعودية ثقافيًا أو من خلال «رؤية السعودية ألفين وثلاثين» التي أصبحت الشعار الجديد، وبناء مدن جديدة وتوفير فرص أكثر تحررًا للنساء. إنه يقدم نفسه كمصلح، لكنه في الوقت نفسه يجب أن يقدم نفسه كرجل أمن.

وهناك أيضًا علاقته بالمؤسسة الدينية. ثمة صفقة تاريخية عقدتها أسرة آل سعود مع الوهابية، وهي جزء مهم من هذه المعادلة. وهناك علاقة تفرض على السعودية، ضمن سياستها الخارجية، أن تساعد في نشر الوهابية خارج حدودها.

وهذا يتطلب من السعودية أن تكون أكثر حزمًا في تموضعها الإقليمي. وأعتقد أن هذا أحد دوافع ما نراه. لا يمكنه، من منظور هذه البيئة، أن يبدو وكأنه يسمح للحركة الزيدية في اليمن بالتصرف كما تشاء.

لذلك فـإن جزءًا كبيرًا مما يحـدث في اليمن له أساس ديني، لأن السـعودية لا تستطيع، ضمن هذا المنظور، أن تظهر وكأنها تتعايش بسلام مع هؤلاء، ولا سـيما بعدما تحدوا إرادتها بإخراج الحكومـة اليمنيـة الموالية للسـعودية وإحلال أنفسهم محلها. هذه قضية قديمة ومستمرة.

والأمـر نفسـه ينطبق على شـيعة العـراق. لا يمكـن، من وجهـة النظر السـعودية، أن تكون هناك فصائل شيعية ترسل صواريخ أو طائرات مسيّرة إلى السـعودية. بالنسـبة إليهم، هذا أمر غير مقبول وإهانة.

لذلـك فإن كثيـرًا من التموضع السـعودي، في رأيـي، تحركه عقلانية التشـدد الوهابي. نحن لا نفكـر فـي ذلك عـادة لأننا عندمـا ننظر إلى الواجهة السـعودية نرى «رؤية السعودية ألفين وثلاثيـن». لكـن إذا تعمقـت قليلًا فـي الداخل السعودي فسـتدرك أن هناك متشددين وهابيين ذوي نزعـة عنيفـة، ولديهم نفوذ أقـوى مما قد يعتقد المرء على الديناميات السياسـية الداخلية في السعودية.

هل انتصرت الولايات المتحدة أم انتصرت إيران

لا تحتاج إلى إطالة الإجابة؛ أعتقد أنك ستوافقني على أن إيران انتصرت في الحرب.

لكن هل كان انتصارًا محدودًا أم حاسـمًا؟ أعتقد أننا نستطيع القول إنه كان حاسمًا.

أعتقـد أن هـذه هـي المـرة الأولى فـي تاريخ الولايـات المتحدة التي نخسـر فيهـا حربًا بهذا المعنى. سـيقول الناس: «سـكوت، ألم نخسـر فيتنام؟». الحرب امتداد للسياسة بوسائل أخرى. نحن خسـرنا حرب فيتنام سياسـيًا، لكن لا أحد يستطيع أن يقول إن الفيتناميين الشماليين هزمونا عسكريًا في مواجهة مباشرة. في كل مرة دخلنا معهم في قتال مباشر واسع، انتصرنا. قصفناهم بشـدة، وفزنـا فـي المواجهـات التكتيكية على الأرض، لكننا خسرنا لأننا لم نتمكن سياسيًا من الاسـتمرار في الحرب. الشـعب الأميركي فقد ثقته بالحكومة بسبب الصراع.

والأمر نفسـه في أفغانستان. هل هزمتنا طالبان في مواجهة عسـكرية مباشـرة؟ لا. كلما وقفت طالبان للقتال تعرضت لخسائر شديدة. المشكلة أننا لم نكن نمتلك الإرادة اللازمة، ولم نسـتطع الحصول على الدعم السياسي المطلوب للذهاب إلى النهاية وتحقيق نصر شامل، تمامًا كما حدث في فيتنام.

وهكذا انتهى بنا الأمر إلى خوض حرب بنصف التـزام، وفقـد الشـعب الأميركي ثقتـه بها، ثم انسحبنا. لكن لا يمكنك القول إننا هُزمنا عسكريًا بالمعنى المباشر.

ولو صدر أمر للفرقة الثانية والثمانين المحمولة جوًا بالنـزول والذهاب إلى كابول للقضاء على طالبـان، لـكان بإمكاننـا فعل ذلك. لـم يكن في استطاعة طالبان منعنا. لم تكن تستطيع هزيمتنا، لكـن لم يكن هناك دعم سياسـي ولا إرادة لفعل ذلك. أميركا فقدت إرادة القتال.

أما في حالة إيران، فنحن نريد أن نقاتل، لكننا لا نستطيع. لقد هُزمنا. لقد هُزمنا.

وقد تقول: «حسنًا يا سكوت، لقد نفدت ذخيرتنا، وهذا لا يعني أننا هُزمنا». إذا قلت ذلك فأنت لا تفهم شيئًا عن الحرب. الحرب تتعلق بالأنظمة، وبقـدرة الأنظمـة على العمـل بالطريقـة التي يفترض أن تعمل بها.

والعنصر الأساسي في أي نظام ليس فقط كيفية عمله عند الطرف القتالي المتقدم، بل كل أعمال الصيانة والاستدامة التي تقف خلفه.

إذا أردت جزّ العشب، فلا تتفاخر أمامي بمدى حدة شفرة آلة الجز إذا كنت ستنفد من الوقود في منتصف العمل ولم تضع خطة لتزويد الآلة بالمزيد. في تلك اللحظة لن تعود قادرًا على جز العشب. لقد هزمك العشب لأنك لم تخطط لكيفية مواصلة المهمة.

لقد بدأنا صراعًا مع إيران قائمًا على افتراضات لم يكن من الممكن أن تتحقق. وهذا كشف عن نقص جوهري في فهم التهديد الذي كنا نواجهه. كانت الفكرة: سنقتل المرشد الأعلى، وكنا قادرين على ذلك، ثم ماذا؟ كان يُفترض أن تنهار إيران، ثم نستبدل النظام بحكومة ترضينا، فتتخلى عن برنامجها الصاروخي، وعن برنامجها النووي، وعن علاقتها بحزب الله وأنصار الله، ويصبح كل شيء على ما يرام.

هكذا كان من المفترض أن ننتصر في الحرب: أن ننتصر بأول ست قنابل تُلقى على إيران.

لكننا خسرنا الحرب بأول ست قنابل ألقيناها على إيران، لأننا قتلنا المرشد الأعلى، وهو ما دفع الإيرانيين إلى الالتفاف حول نظامهم بصورة أشد من أي وقت مضى. وهكذا لم يعد هناك أي احتمال لانهيار النظام.

ثم فقدنا أيضًا السلطة الأخلاقية بسبب الاغتيال، لأن ما حدث كان، في رأيي، فعل غدر.

كثير من الأميركيين يميلون إلى نسيان هذا، لكنني لا أعتقد أن الإيرانيين سينسونه أبدًا: كنا في مفاوضات فعلية مع الإيرانيين بشأن البرنامج النووي، وهو الموضوع الذي قال دونالد ترامب إنه من أهم القضايا في العالم.

وقد قدم الإيرانيون تنازلات كبيرة، وكان هناك اتفاق يُنقل على متن طائرة عبر وزير الخارجية العُماني بهدف الوصول إلى تسوية نهائية. وكان الإيرانيون يعتقدون أنهم قاموا بخطوة جيدة، ثم قصفناهم.

هذا، في رأيي، فعل غدر. إنه جريمة حرب. هكذا بدأنا هذه الحرب: بجريمة حرب.

ثم قتلنا شخصًا بالاغتيال، وهذه جريمة أخرى. وبعد ذلك، في اليوم الأول، قتلنا مئة وثمانية وستين طالبًا في مدرسة «مناب». جريمة أخرى أظهرت أننا لا نملك فكرة واضحة عما نفعله.

لقد بدأنا حربًا خسرناها منذ اليوم الأول لأن الظروف كانت تعني أننا لا نستطيع الانتصار.

لكننا واصلنا القول إننا سنفعل ذلك.

ثم غيّرنا خطتنا للحرب. والسؤال الآخر هو: إذا كانت لدينا خطة جيدة إلى هذا الحد، فلماذا كنا نغيرها كل يومين؟ السبب أننا لم نكن نملك خطة أصلًا. لم تكن لدينا فكرة واضحة عما نفعله، وكنا نرتجل ونحن نتقدم.

وفي كل مرة فعلنا شيئًا، ازداد الوضع سوءًا: وسعنا الصراع، وأسقطنا المزيد من القنابل، وأطلقنا المزيد من الصواريخ، ودفعنا الإيرانيين إلى إطلاق المزيد من الصواريخ باتجاهنا.

ثم فجأة نفدت ذخيرتنا.

آسف يا جماعة، عندما تنفد ذخيرتك تكون قد خسرت الحرب. لأن الحرب نظام، بل نظام من الأنظمة. والنظام الذي كان يفترض أن يُبقي الصراع مستمرًا انهار.

ولهذا خسرت الولايات المتحدة الحرب لأنها لم تستطع الاستمرار فيها، وليس لأن الشعب الأميركي تخلّى عن الحرب. الشعب الأميركي لم يكن يعرف حتى ما الذي يجري، وكثير منه ما زال لا يعرف لأن دونالد ترامب، في رأيي، كان يكذب عليه منذ اليوم الأول.

هـذا ليس مثـل فيتنام، عندمـا كان الأميركيون ينزلون إلى الشوارع ويقولون: «أعيدوا أبناءنا إلى الوطن». أتمنى أن نـرى المزيد من الناس فـي الشـوارع، لكن هذا ليس سـبب انتهاء هذه الحرب.

الحـرب لم تنته لأن الأميركييـن قالوا: «لا، لن نذهـب». بـل إن كثيرًا مـن الأميركييـن كانوا يقولون: «اقصفوا هؤلاء بقوة». لكن ترامب لا يستطيع، لأن الذخيرة نفدت منه.

وليس هذا وحده. الإيرانيون اسـتولوا، إذا صح التعبيـر، على المرتفَع الجيوسياسـي من خلال السـيطرة علـى مضيـق هرمـز. وبالتالي فهم يخنقـون ليـس الاقتصـاد الأميركي فقـط، بل الاقتصاد العالمي أيضًـا، لأن هذه الاقتصادات مترابطة.

إذن لـدى الإيرانيـين تفوق اسـتراتيجي على الولايـات المتحدة. ولديهم تفـوق تكتيكي بالقدر الذي تفتقر فيـه الولايات المتحدة إلى القدرة على إسقاط قوة عسكرية مؤثرة داخل إيران.

فـي المقابل، لا تزال إيران تمتلـك القدرة على إسـقاط قوة عسـكرية مؤثرة على البنية التحتية العسـكرية الأميركيـة وعلـى البنـى الداعمـة لحلفائنا. نحن لا نسـتطيع الدفاع عن أنفسنا أمام الإيرانيين كما ينبغي.

ولهذا يسـبب الإيرانيون لنا أضـرارًا أكبر من الأضـرار التي نسـببها لهم، وهـذا وضع غير قابل للاستمرار.

لقد خسرنا عسكريًا، لكننا خسرنا أيضًا اقتصاديًا وسياسيًا بسبب قدرة إيران على التحكم في مضيق هرمز، والمحافظة على علاقتها بأنصار الله، وفرض تفوق عسكري إقليمي.

هذا ما يسمى، بالعبارة العامية، تلقي هزيمة ساحقة. لقد تلقينا هزيمة ساحقة. وهذه، في رأيي، المرة الأولى في التاريخ التي تتلقى فيها الولايات المتحدة هزيمة عسكرية مباشرة من هذا النوع.

وهذا هو الوضع الذي نحن فيه الآن. ترامب لا يستطيع الاعتراف به ولا الإقرار به. ولهذا نسمع كلامًا مثل «جدار الفولاذ».

أعتقد أنه نشر للتو تغريدة كرر فيها أننا نسيطر على مضيق هرمز. وقال ذلك بوجه جاد: «نحن نسيطر عليه».

ماذا يعني ذلك؟ هل السفن الأميركية تسيطر على مضيق هرمز؟ لا. إنها لا تستطيع حتى الاقتراب منه من دون أن تتعرض لإطلاق النار أو خطر الإغراق. فكيف نكون نحن من يسيطر على المضيق؟

يقولون: «جدار الفولاذ». لكن هل هو فعلًا جدار من الفولاذ؟ لا. كم سفينة لدينا هناك الآن؟ ست عشرة؟ لا أعرف. العدد يتغير يوميًا بزيادة أو نقصان سفينتين تقريبًا.

لكن هذا ليس «جدارًا من الفولاذ». انظر إلى بحر العرب وقل لي كم يبلغ اتساعه.

وعليك أيضًا أن تدرك أننا لا نستطيع تقريب السفن من الساحل الإيراني، لأن إيران تمتلك صواريخ بعيدة المدى يمكنها إغراقها. ولذلك علينا أن نبقى على مسافة كبيرة. وهذا يترك فجوة واسعة لا نسيطر عليها.

ما يقوله ترامب هو أننا، بفضل «جدار الفولاذ»، نسيطر على كل ما يدخل إلى مضيق هرمز وكل ما يخرج منه، وبالتالي نسيطر على المضيق بصورة غير مباشرة.

إنها نظرية جميلة، لكن المشكلة أن «جدار الفولاذ» غير موجود. إنه أقرب إلى مجموعة مواقع بحرية متناثرة وصغيرة. حركة السفن تسير بمحاذاة الساحل ولا توقفها البحرية الأميركية، ثم تدخل بمحاذاة الساحل وتعبر مضيق هرمز.

الإيرانيون وحدهم، في رأيي، هم من يسيطرون على ما يدخل إلى المضيق وما يخرج منه.

هل هناك بعض السفن التي تستطيع التسلل؟ أتصور أن سفينة أو اثنتين قد تنجحان، لكنني لم أسمع شيئًا واضحًا عن ذلك. أعتقد أن الإيرانيين يضربون فعليًا أي سفينة يحاولون منعها بالصواريخ، وشركات التأمين لن تسمح لأصحاب السفن بأن يجربوا العبور من دون ضمانات.

وأعتقد أن الوضع الآن هو ببساطة: إذا عبرت من دون إذن وتعرضت للضرب، فلن تكون لديك تغطية تأمينية. لذلك عليك أن تحصل على الموافقة وتدفع الأموال المطلوبة إذا أردت المرور، سواء عبر الإيرانيين أو عبر الوسطاء القطريين أو العُمانيين.

لذلك فإن ترامب، في رأيي، يختلق أشياء.

أين نحن عسكريًا؟ لا نستطيع أن نفعل شيئًا كبيرًا ضد إيران، لأن اللحظة التي نفعل فيها ذلك سترد إيران بقوة هائلة. يمكنها، حسب تقديري، أن تدمر

البنية العسكرية في الكويت، ويمكنها أن تفعل الشيء نفسه في البحرين.

ولديها الآن صواريخ يُرجح أن تخترق ما تبقى لدينا من دفاعات في الأردن وتسبب أضرارًا كبيرة للأردنيين. كما تستطيع ضرب الإمارات. ولهذا قالت جميع دول المنطقة للولايات المتحدة، بمعنى أو بآخر: «توقفوا. لا مزيد من الحماقة. انتهى الأمر».

دونالد ترامب مضطر إلى التعامل مع هذه الحقيقة: انتهى الأمر.

لكنه لا يستطيع أن يعترف بذلك أمام الشعب الأميركي، لأنه عندها سيصبح أول رئيس أميركي يتلقى في عهده مثل هذه الهزيمة المباشرة. وهو دونالد ترامب؛ لا يستطيع أن يقبل أن يكون المهزوم. يجب، في صورته عن نفسه، أن يكون هو من يهزم الآخرين.

ولهذا يحاول أن يقول للأميركيين: «أنا الذي هزمتهم. أنا أغرقت أسطولهم كله».

حسنًا، إذا كنت أغرقت أسطولهم كله، فلماذا لا تستطيع السيطرة على مضيق هرمز؟ لم تُغرق أسطولهم كله، أليس كذلك؟ كلا.

وتقول إنك عطلت سلاحهم الجوي كله؟ لا، لم تفعل. طائراتهم ما زالت موجودة وقادرة على العمل.

وماذا عن جيشهم؟

أكبر كابوس بالنسبة إلى ترامب، وربما كان هذا أحد أسباب توقفنا، هو أن لدينا عدة آلاف من الجنود في الكويت، وليسوا جميعًا قوات قتال بري.

ولو تمكن الإيرانيون من جهة البصرة، من دفع عدة فرق عسكرية إلى الكويت، فقد تسقط الكويت خلال ثلاثة أيام، وربما أسرع، وقد يصبح جميع جنودنا الموجودين هناك أسرى أو قتلى.

هذا كابوس بالنسبة إلى ترامب، لأنه لا يستطيع حمايتهم.

فماذا يقول للشعب الأميركي؟ يقول: «لقد انتصرنا».

وأعتقد أن هذا هو الإطار الذي أُعدّ لإعلان النصر: لقد انتصرنا، ولدينا :جدار فولاذي» دائم، وانتصرنا لأن لدينا جدارًا من الفولاذ وسنحافظ عليه.

لكن المشكلة التالية هي: هل يستطيع الحفاظ عليه؟

لن أدخل كثيرًا في الشائعات المتعلقة بحاملة الطائرات «أبراهام لينكولن»، لكنكم شاهدتم التقارير. لا يبدو أن كل شيء يسير بانسجام على متن حاملة طائرات طلب منها تمديد مدة انتشارها، وأتصور أن التوترات نفسها موجودة على سفن أخرى في البحرية أيضًا.

هذا وضع غير قابل للاستمرار بالنسبة إلى دونالد ترامب.

وفوق ذلك، إذا لم يُعِد الأمور إلى طبيعتها، فسوف يخسر انتخابات التجديد النصفي.

لذلك أعتقد أننا سنسمع دونالد ترامب يقول: «لقد انتصرت. أنا أسيطر على مضيق هرمز».

وسيقول سكوت بيسنت (وزير الخزانة الامريكي) «نعم، ما دام لدينا جدار من الفولاذ فلا داعي للقلق. وبعد عامين ستتحسن الأمور».

وجمال عبارة «بعد عامين» بالنسبة إلى ترامب هو أنه لن يكون مسؤولًا عن الوفاء بها. بعد عامين لن يكون ترامب رئيسًا.

ولهذا ستسمع: «بعد عامين أو ثلاثة أعوام ستتحسن الأمور. ثقوا بنا. لا تحاسبونا على الفوضى الموجودة الآن، لأنها بعد عامين ستصبح أفضل بسببنا».

هذه، في رأيي، سخافة.

وأتمنى ألا يقع الناخب الأميركي في فخها، لكن هذا هو ما نشهده: قدر كبير من الاستعراض السياسي من رئيس يحمل، في رأيي، عار أن يكون أول رئيس في تاريخ الولايات المتحدة تتعرض بلاده في عهده لهزيمة عسكرية مباشرة بهذا الشكل.

اسرائيل كطفيليات

نعرف أن نتنياهو قدّم نفسه بوصفه «رئيس الأمن» أو رجل الأمن. ونعرف أيضًا أنه منذ السابع من أكتوبر أخذ يوسع نطاق المواجهة العسكرية الإسرائيلية وحجمها مع جيران إسرائيل، لأنه لم يستطع تحقيق النصر في غزة، فوسّع القتال إلى لبنان، ثم وسعه إلى سوريا، والآن وسعه إلى إيران.

وبالمناسبة، لم ينتصر في أي من هذه الجبهات. لم تسر أي منها بالطريقة التي كان يُفترض أن تسير بها.

وقد لا يفوز في الانتخابات المقبلة، ولذلك فهو يخوض معركة سياسية من أجل بقائه.

لكن الشيء الذي لا يتم ذكره في كل ذلك هو ما يحدث هنا في الولايات المتحدة بشأن قانون تفويض الدفاع الوطني لعام ٢٠٢٧: المادة ٢١٩ في نسخة مجلس النواب، والمادة ١٢١٧، على ما أعتقد، في نسخة مجلس الشيوخ.

هذه المواد، في جوهرها، تطمس الخط الفاصل بين الولايات المتحدة وإسرائيل فيما يتعلق بجوانب حاسمة من الإنتاج الدفاعي، وتبادل المعلومات الاستخبارية، وتبادل التكنولوجيا، وغير ذلك.

وإذا أُقر ذلك، فستصبح الولايات المتحدة وإسرائيل، عمليًا، كأنهما كيان واحد في هذه المجالات. وهذا يعني أن الولايات المتحدة ستصبح بصورة غير مباشرة مشاركة بشكل أو بآخر، وخصوصًا على مستوى السياسة.

أعتقد أن هذه هي الاستراتيجية.

وهذا، بالنسبة إليّ، يشبه حرفيًا المثال الكلاسيكي **في الكتب عن طفيلي يسيطر على جسد العائل**.

لقد كتبت عن هذا من قبل. شبّهت إسرائيل بالدبور الأخضر، وأميركا بالصرصور الأميركي. يضع الدبور الأخضر بيضه داخل الصرصور الأميركي، ثم تستولي اليرقات على الصرصور، ويبدأ الصرصور في فعل ما تمليه عليه اليرقات إلى أن تلتهمه من الداخل.

وأعتقد أن هذا ما يحدث الآن: الطفيلي الإسرائيلي، وفق هذا التشبيه، يزرع يرقاته داخل أميركا، وتتمثل هذه اليرقات في هاتين المادتين من قانون تفويض الدفاع الوطني، ثم يقود ذلك إلى المزيد من الاختراقات.

ونحن نرى بالفعل مؤشرات على ذلك، حيث يقول وزير الخارجية ماركو روبيو، بحسب ما يُنقل، إنك إذا تحدثت يومًا ضد إسرائيل فلن تحصل على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة.

أي أنه، وفق هذا المنطق، يحول حرية التعبير إلى جريمة.

وهكذا، في رأيي، ستحاول إسرائيل البقاء عبر السيطرة على «العائل» الأميركي.

إسرائيل لا تمتلك القدرة على مواجهة إيران وحدها

المشكلة الآن هي أن إسرائيل أصبح لها صوت في القرار. وهذا هو الجانب المؤسف.
لـم يعـد بإمكاننا أن نقـول: «إسـرائيل لا تهم، وهذه مشـكلة أميركية بحتة». إسـرائيل أصبح لها الآن تأثير في تحديد وضع الولايات المتحدة ومسارها في المرحلة المقبلة.

لكـن دعنا نوضح شـيئًا بصـورة لا لبس فيها: إسـرائيل لا تمتلـك القدرة علـى مواجهة إيران وحدها.
لذلك فإن التهديد الإسـرائيلي، في رأيي، فارغ. هو تهديد فارغ بصورة مباشرة.

إسـرائيل لا تسـتطيع فعل ذلك إلا إذا كانت الولايات المتحـدة منخرطة معها، والولايات المتحدة لم تعد قادرة على الانخراط بالطريقة نفسها.

إسرائيل لم تحل مشكلة الدفاع الجوي.
وأعتقـد أن الإيرانيين أوضحـوا اليوم أنه حتى في الأيام التي كان فيها اسـتهلاكهم للصواريخ هو الأعلـى خلال هذه الحـرب، كانوا ينتجون صواريخ أكثر مما كانوا يطلقون.
أي أن إيـران، بحسـب هذا الطـرح، تزداد قوة ونحن نتحدث.
والصواريخ التي ينتجونها الآن، وقد كتبت عن هـذا الأمر. قلـت إن هذه الحـرب تمثل إلى حد كبير مختبرًا للإيرانيين.
كان الجميع يتحدث عن كونها مختبرًا للولايات المتحدة وإسرائيل لاسـتخدام الأسلحة المتقدمة وما إلى ذلك، لكن هذا السيف ذو حدين.

مـاذا تعلمنا نحن من تجربتنـا في هذا المختبر؟ تعلمنا، وفق رأيي، أن أسلحتنا لا تعمل بالطريقة التي صُممت لتعمل بها. كلها سيئة الأداء.
ومـاذا تعلم الإيرانيـون؟ تعلمـوا أن كثيرًا من الأسـلحة الأميركية لا تعمل بالطريقة التي كان يُفتـرض أن تعمـل بهـا، وتعلمـوا أيضًا كيف يمكنهم تطوير وسائل إضافية لهزيمتها.
ومـن الأشـياء التي تعلمهـا الإيرانيون بشـأن الدفـاع ضد الصواريخ الباليسـتية أن من المهم جدًا امتلاك صواريخ قادرة على المناورة أثناء الطيران.
ونحن نـرى الآن صواريخ ذات قـدرة متزايدة على المناورة تخرج من المصانع الإيرانية.
لذلـك يبني الإيرانيون اليـوم مخزونًا كبيرًا من الصواريـخ الباليسـتية المتقدمة التـي يمكنها، بحسـب تقديرهم، الإفلات من خيـارات الدفاع الجـوي وإلحاق أضرار كبيـرة بالأهداف التي توجَّه إليها.
وهذا يعنـي، وفق هذا التحليل، أن إسـرائيل لا تملك قدرة كافية للدفاع عن نفسها.
والأمر يزداد سـوءًا بسـبب نقص الأسلحة لدى الولايـات المتحـدة، وهـو النقص الـذي يضع إسرائيل في خطر.
انظـر إلى قائـد القوات البحريـة الأميركية في القيـادة المركزية. لقد قال، فـي جوهر كلامه، إنـه إذا لم يمنحه الرئيـس الأميركي المزيد من المدمرات، فسـيتعين عليه سحب المدمرات من مهام الحراسة التي تقوم بها حاليًا.
كثير من الناس لا يدركون مدى أهمية المدمرات الأميركية الموجودة قبالة السـاحل الإسرائيلي، ولا الـدور الذي أدتـه. ومن المرجـح أن عددًا كبيرًا من الصواريـخ التي جرى اعتراضها تم بواسـطة الصواريـخ الموجودة علـى متن هذه السفن.
والحديـث عـن سـحب هـذه المدمـرات يعني إضعاف إسرائيل أكثر.

ولذلك فإن فكرة أن إسرائيل تستطيع الدخول في حرب مع إيران وألا تتعرض لدمار واسع هي، في رأيي، فكرة سخيفة، والإسرائيليون يعرفون ذلك.

لذلك أعتقد أن نتنياهو في هذه اللحظة يخادع ويحاول رفع سقف التهديد.

حزب الله قوة سياسية كبيرة

عندما سقطت سوريا، وسقط الأسد، وأعيد تشكيل سوريا على صورة تنظيم القاعدة، بحسب توصيفه، اعترف الإيرانيون بأن ذلك كان هزيمة لهم، وأنه كان انتكاسة.

قالوا إنها كانت هزيمة.

لكنهم قالوا أيضًا، أو على الأقل قال لي بعض المسؤولين الإيرانيين الكبار الذين تحدثت إليهم: «لقد كنا في سوريا مدة طويلة جدًا، وأقمنا علاقات جيدة جدًا على المستوى المحلي».

وفكرة أن سقوط الأسد قطع «الحبل السري» بين إيران وحزب الله هي، في رأيي، فكرة مضحكة. وأعتقد أن ما نراه اليوم دليل على ذلك.

أولًا، يُظهر ذلك أن حزب الله في لبنان امتلك قدرة كبيرة على الاستمرار رغم كل الخسائر البشرية التي تكبدها. فما زالت لديه موارد.

كما أن فعالية ما يفعله لبنان الآن، وخصوصًا في حرب الطائرات المسيّرة، ترتبط، في رأيي، بعلاقات مع فيلق القدس الإيراني، الذي يقوم بإعادة إمداد نشطة عبر خطوط إمداد سرية يعرفونها، لكن لا أحد ينجح في قطعها.

ولهذا فإن فكرة أن حزب الله سيذبل تدريجيًا ويموت، إذا جاز التعبير، فكرة غير واقعية.

إنه، بحسب تقديري، يزداد قوة.

وهو يلحق أضرارًا بإسرائيل، وأضرارًا كبيرة بالقوات الإسرائيلية.

الإسرائيليون لا يستطيعون هزيمته. ولو كانوا قادرين على ذلك لفعلوا ذلك بالفعل.

وحزب الله ما زال موجودًا.

وعندما تقول إن لبنان يتفاوض مع إسرائيل، فأنا لم أعد أعتقد حتى أن الشعب اللبناني بأكمله يوافق على هذا المسار، لأنني أعتقد أن الرئيس اللبناني الحالي يُنظر إليه لدى شريحة من اللبنانيين بوصفه متنازلًا.

إنه، وفق هذا التصور، رجل سمح باستمرار احتلال أراضٍ لبنانية من خلال القول، بمعنى ما، إن الأمر لا يكون غير قانوني إذا كنا نحن نوافق عليه. أعتقد أنه قدم حجة من هذا النوع.

وهذا، في رأيي، أمر مثير للسخرية، وقد منح حزب الله قوة سياسية كبيرة، لأن كثيرًا من اللبنانيين الذين ربما تعبوا من الصراع بدأوا يدركون أن الطريقة الوحيدة لبقاء لبنان دولة ذات سيادة هي وجود سياسيين يؤمنون بسيادة لبنان.

وأعتقد أن حزب الله، من وجهة نظري، يقع ضمن هذه الفئة.

ولذلك أعتقد أن حزب الله يكتسب الآن قوة سياسية متزايدة داخل لبنان، أكثر مما ترغب إسرائيل والولايات المتحدة في رؤيته أو القبول به.

روبرت أ. بيب

٢٠٢٦/٧/٢٤

المصادر:

مجلة Foreign Affairs

إيران والقواعد الجديدة للقوة العالمية

في ليلة السابع عشر من كانون الثاني/ يناير ١٩٩١، شاهد مشاهدو التلفزيون في أنحاء العالم شيئًا لم يروه من قبل. وعلى خلفية سماء سوداء أضاءتها نيران المضادات الجوية، ارتطمت القنابل الأمريكية الموجهة بدقة بالنوافذ وممرات التهوية ومخابئ القيادة في بغداد. وبثت شبكة «سي إن إن» حرب الخليج على الهواء مباشرة. وبالنسبة إلى ملايين الناس، بدت الصور وكأنها تبشر بقدوم عصر جديد.

ولفهم سبب أهمية تلك الصور، من الضروري تذكّر مدى التهديد الذي كان العراق يبدو أنه يمثله قبل بدء الحرب. كان الدكتاتور العراقي صدام حسين يقود قرابة مليون رجل مسلح. وكان جيشه قد صمد خلال ثماني سنوات من الحرب الوحشية مع إيران، وامتلك واحدة من أكبر قوات الدبابات في العالم. وأثار غزو العراق للكويت مخاوف من أن يوجّه صدام قواته قريبًا نحو المملكة العربية السعودية، بما قد يجعل بلاده قوة مهيمنة نفطيًا في الخليج الفارسي، ويضع ربع إمدادات النفط العالمية تحت سيطرته المباشرة.

لم يتوقع سوى عدد قليل من الأمريكيين تحقيق نصر سهل. فقد كانت كارثة حرب فيتنام لا تزال تلقي بظلالها الطويلة. وقال صدام للسفيرة الأمريكية لدى الكويت، قبل أسبوع من غزوه لجارته: «إن مجتمعكم لا يستطيع تقبل سقوط عشرة آلاف قتيل». وكان كثير من المحللين يخشون أن يكون محقًا، ولم يوافق مجلس الشيوخ على استخدام القوة إلا بهامش ضئيل. واستعد البنتاغون لخسائر فادحة، فأرسل آلاف أكياس الجثث إلى المنطقة. لم يكن المتوقع حربًا عالمية ثانية، بل فيتنام أخرى.

ما حدث بعد ذلك صدم الجميع تقريبًا. فبعد خمسة أسابيع من الهجمات الجوية، حررت القوات البرية للتحالف الكويت في نحو مئة ساعة. وانهار الجيش العراقي. وهُزم أكثر من ثلاثمئة ألف جندي عراقي في الكويت، أو أسروا، أو أجبروا على الفرار. وبلغ مجموع القتلى الأمريكيين في القتال مئة وسبعة وأربعين، وهو رقم منخفض بصورة مذهلة بالنظر إلى المخاوف التي سبقت دخول الحرب. لقد هُزمت دولة كانت تبدو قوية قبل بضعة أشهر فقط، بسهولة مذهلة.

إمتدت أهمية الانتصار الأمريكي إلى ما هو أبعد بكثير من ساحة المعركة، مؤكدة المكانة الاستثنائية للولايات المتحدة. ومع تفكك الاتحاد السوفيتي، لم تكن واشنطن تواجه خصمًا رئيسيًا، وكانت تتمركز في قلب الشبكات المالية والتكنولوجية وشبكات التحالفات في العالم. كما كانت تتباهى بقدرات عسكرية متقدمة لا تستطيع أي قوة أخرى مجاراتها. لقد أصبحت الولايات المتحدة شيئًا غير مألوف في التاريخ الحديث: دولة واحدة من دون ندّ منافس. وحولت عملية «عاصفة الصحراء» المقاييس المجردة للقوة الأمريكية إلى تجربة ملموسة. وأصبحت الحكومات والمستثمرون والمواطنون العاديون في أنحاء العالم يمتلكون صورة مشتركة عما تعنيه الهيمنة العسكرية الأمريكية في الواقع العملي.

تختفي معظم الحروب في طيات التاريخ. لكن قلة منها تقسم التاريخ إلى ما قبل وما بعد. وبالنسبة إلى عالم ما بعد الحرب الباردة، كانت حرب الخليج إحدى تلك اللحظات. فقد أسفر الصراع عن تحرير الكويت، ثم أطلق العصر الذي تلاه، والذي يُشار إليه عادةً بوصفه حقبة الأحادية القطبية الأمريكية، حين كانت القوة العسكرية الأمريكية التي لا نظير لها تسند العولمة والازدهار المتنامي والاستقرار النسبي.

لكن ذلك العصر انتهى الآن. فلم تعد الولايات المتحدة تتمتع بنوع التفوق العسكري الذي امتلكته عام ١٩٩١. وبفضل العولمة، لم تعد الأنظمة اللازمة لخوض الحرب الدقيقة حكرًا على حفنة من القوى العظمى؛ بل أصبحت متاحة لمجموعة من الأطراف القادرة الآن على الصمود في وجه دول أقوى منها بكثير.

والواقع أن حرب إيران تجسد هذا التحول في مسار الأحداث. فبينما أظهرت حرب الخليج الهيمنة الأمريكية، تكشف الاشتباكات الحالية حول مضيق هرمز حدود القدرة الأمريكية. ويطل عصر جديد، تنقلب فيه افتراضات مرحلة ما بعد الحرب الباردة رأسًا على عقب. فالولايات المتحدة ليست قادرة على إخضاع الآخرين لإرادتها من خلال استخدام القوة بكلفة منخفضة. وبدلًا من أن تضمن القوة الأمريكية الاستقرار والقدرة على التنبؤ، أصبحت مصدرًا للتقلب وعدم الاستقرار. وقد تعلمت القوى الأضعف مزايا التحدي والتعطيل، وهي تمتلك الأدوات اللازمة لفرض تكاليف هائلة على الولايات المتحدة وحلفائها وشركائها. وسيكون العصر المقبل عصر أزمات أكثر تكرارًا، وتكاليف أعلى لحماية التجارة العالمية، ومنافسة متصاعدة على نقاط الاختناق الاستراتيجية في العالم. لقد تلاشت قواعد القوة التي حكمت حقبة ما بعد الحرب الباردة، وينتظر العالم نظام دولي أشد خطورة.

توقعات عظيمة

لا تؤدي الانتصارات العسكرية الكبرى في كثير من الأحيان إلى إنشاء أنظمة دولية جديدة. فقد تنتهي الحروب بحدود متغيرة، لكنها تميل إلى إبقاء البنية الأوسع للسياسة العالمية على حالها. وكانت حرب الخليج عام ١٩٩١ مختلفة لأنها غيّرت توقعات العالم. فقد أقنعت الفجوة الهائلة بين ما توقعه المحللون قبل الحرب، والطريقة التي حققت بها الولايات المتحدة نصرًا حاسمًا وسريعًا، الحكومات والأسواق والمجتمعات بأن واقعًا جديدًا قد ظهر.

استند ذلك الواقع إلى أربعة افتراضات:

١ـ أن الولايات المتحدة تستطيع فرض النتائج العسكرية من دون عناء.

٢ـ أن واشنطن تمتلك تفوقًا لا مثيل له في التصعيد، أي القدرة على هزيمة التهديدات الكبرى بسرعة وبتكلفة منخفضة.

٣ـ أن القوة الأمريكية تضمن تدفق السلع عبر الشرايين التجارية للعالم.

٤ـ أن مقاومة القوة الأمريكية كانت، في نهاية المطاف، بلا جدوى.

عززت هذه الافتراضات بعضها بعضًا. ولأن التفوق العسكري الأمريكي بدا ساحقًا، خفّض الحلفاء أعباءهم الدفاعية وعمّقوا اعتمادهم على واشنطن. ولأن القوة الأمريكية كانت تثني الأطراف الأخرى عن المجازفة بالمواجهة والتصعيد، قلّل المستثمرون من تقدير المخاطر الجيوسياسية. ولأن التجارة البحرية بدت آمنة، مدّت الشركات سلاسل التوريد عبر القارات وقلّصت مخزوناتها في الداخل. ولأن القوة الأمريكية بدت بلا منافس ولا تعرف الهوادة، سعت معظم الدول إلى التكيف مع الولايات المتحدة بدلًا من مقاومتها.

استند نظام ما بعد الحرب الباردة بدرجة أقل إلى قدرة واشنطن على الإكراه، وبدرجة أكبر إلى قوة مصداقيتها. فلم تكن الدول بحاجة إلى اختبار القوة العسكرية الأمريكية بصورة مباشرة. بل كان يكفي أن تؤمن بها. وقد هزمت الولايات المتحدة العراق بسرعة كبيرة وبتكلفة منخفضة إلى حد جعل المقاومة في المستقبل تبدو غير عقلانية. ولم تجرؤ سوى حفنة من «الدول المارقة» والأطراف، مثل كوريا الشمالية وإيران والقراصنة الصوماليين، على تجاهل ما كان يراه الجميع. وفي عام ١٩٩٠، أطلقت القوات الجوية الأمريكية بطموح على عقيدتها الجديدة اسم «قوة عالمية، وصول عالمي». وجعلت حرب الخليج عام ١٩٩١ من ذلك واقعًا لم يكن بوسع سوى قلة تجاهله.

كانت لما بدا أنه مناعة القوة الأمريكية التي بشّرت بها حرب الخليج عواقب فورية في أوروبا. فخلال الحرب الباردة، كانت حكومات أوروبا الغربية تحتفظ بجيوش كبيرة لأن تهديد الاتحاد السوفيتي كان يفرض عليها ذلك.

وبعد عام ١٩٩١، خفّضت الدول الأوروبية ميزانيات الدفاع بشدة، في الوقت الذي كانت تدمج فيه اقتصاداتها بصورة متزايدة. ووقّعت معاهدة ماستريخت عام ١٩٩٢، واضعةً الأساس لعملة مشتركة ولإزالة الحدود بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. وتنافست الدول الشيوعية السابقة من أجل الانضمام إلى المؤسسات الغربية.

وتوسع حلف شمال الأطلسي، الذي كان يضم ستة عشر عضوًا عام ١٩٩١، شرقًا، ليضم في النهاية جزءًا كبيرًا من الأراضي التي كانت في السابق تابعة لحلف وارسو. وكانت الدول التي خافت حلف شمال الأطلسي قبل سنوات قليلة فقط تسعى الآن إلى الحماية داخل النظام الذي تقوده الولايات المتحدة. وبحلول نهاية العقد، لم يعد التفوق الأمريكي موضوعًا للنقاش، بل أصبح حقيقة واقعة.

حتى خصوم واشنطن المستقبليون استوعبوا دروس بغداد. ففي أثناء حرب الخليج، كان الضباط الصينيون يدرسونها بإمعان شديد، لأن الجيش العراقي كان يشبه، من جوانب عديدة، جيش التحرير الشعبي. وخلصت بكين إلى أن الجيوش الحاشدة في العصر الصناعي كانت عرضة بصورة خطيرة للحرب الدقيقة. وعلى مدى العقود التالية، خفّضت الصين أعداد قواتها بصورة كبيرة، من قرابة ثلاثة ملايين ونصف المليون فرد عام ١٩٩٠ إلى مليونين بعد عقد من الزمن، وحدّثت أنظمة القيادة، ووسّعت قوات الصواريخ، واستثمرت بكثافة في تكنولوجيا المعلومات.

والمفارقة هي أن كثيرًا من القدرات التي تتحدى الآن الهيمنة العسكرية الأمريكية في شرق آسيا نشأت من محاولة الصين فهم سبب انهيار الجيش العراقي بهذه السرعة عام ١٩٩١.

أثرت الثقة بالقوة الأمريكية في القرارات الاقتصادية بقدر تأثيرها في القرارات العسكرية، وشجعت أحد أكبر توسعات الاعتماد الاقتصادي المتبادل في التاريخ الحديث. فقد عبرت البضائع ورؤوس الأموال والطاقة والمعلومات الحدود بسرعة غير مسبوقة. وارتفعت حصة التجارة من الناتج العالمي من نحو ثمانية وثلاثين في المئة عام ١٩٩٠ إلى قرابة ستين في المئة بعد عقدين. واعتمد المصنّعون نظام الإنتاج في الوقت المناسب. وامتدت سلاسل التوريد عبر القارات لأن الشركات افترضت بصورة متزايدة أن الحروب بين القوى الكبرى غير مرجحة، وأن أي اضطرابات مستقبلية في التجارة البحرية لن تكون سوى مؤقتة.

وتحت تفاؤل تلك الحقبة كان يكمن افتراض أعمق: أن الأسس الاستراتيجية للنظام الدولي أصبحت آمنة بصورة غير عادية. وكان ذلك يستند مباشرة إلى الواقع المعاش للهيمنة العسكرية الأمريكية. وفي عام ١٩٩٨، وصفت وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت الولايات المتحدة بأنها «الأمة التي لا غنى عنها»، معبّرةً بذلك عن افتراض واسع الانتشار مفاده أن الاستقرار الدولي يعتمد في نهاية المطاف على القوة الأمريكية.

احتفظ ذلك الافتراض بقدر كبير من قوته حتى خلال حرب العراق عام ٢٠٠٣، التي لم تؤثر في الأسواق العالمية بصورة خطيرة. فقد اندلعت الحروب وتفجرت الأزمات، لكن حالات عدم الاستقرار الخطيرة بدت استثناءً لا قاعدة. ونظّم القادة السياسيون والشركات والمواطنون العاديون في أنحاء العالم توقعاتهم على أساس الاعتقاد بأن الاضطرابات الكبرى التي تؤثر في الأسواق والسياسة العالميتين ستُحتوى في نهاية المطاف. وعلى غرار المملكة المتحدة في القرن التاسع عشر بعد معركة «طرف الأغر» (ترافالغر في ٢١ تشرين الاول ١٨٩٥ البحرية الحاسمة بين الأسطول البريطاني والاسطولين الاسباني والفرنسي والذي حسم القيادة البريطانية للعالم)، مارست الولايات المتحدة نفوذا تجاوز بكثير النطاق المباشر لقواتها العسكرية، لأن الآخرين كانوا قد سلّموا بالفعل بأنه لا يمكن تحدي واشنطن. لم يصبح العالم مسالمًا بعد عام ١٩٩١، بل أصبح قابلًا للتنبؤ.

بذور زواله الذاتي

ومن المفارقات أن نجاح نظام ما بعد الحرب الباردة نفسه أدى إلى تفكك ذلك النظام. فقد كانت الثورة التكنولوجية التالية في مجال الحرب نتاجًا للتحول الاقتصادي الذي شهدته حقبة ما بعد الحرب الباردة.

استندت كل ثورة عسكرية كبرى إلى تحول اقتصادي سابق. فالقوى العظمى لا تنهض لمجرد امتلاكها جيوشًا أو قوات بحرية متفوقة، بل لأن اقتصاداتها تولّد الثروة والتكنولوجيا والقدرة الصناعية اللازمة للحفاظ على تلك القوات بمرور الوقت. وقد اعتمدت ثورة «الدقة» الأولى التي ظهرت فوق بغداد عام ١٩٩١ على قدرات لم تكن متاحة إلا لحفنة من الدول المتقدمة. فقد تطلبت الذخائر الموجهة بدقة، والملاحة عبر الأقمار الاصطناعية، والاتصالات الآمنة، وأجهزة الاستشعار بالأشعة تحت الحمراء، والمعالجات المتقدمة، منظومات صناعية لم تكن تمتلكها سوى دول قليلة. وكشفت حرب الخليج هذه القدرات للعالم، لكن التقنيات الكامنة وراءها ظلت متركزة داخل الولايات المتحدة وبين أقرب حلفائها.

وعلى مدى العقود الثلاثة التالية، حوّلت العولمة هذه الأصول العسكرية النادرة إلى منتجات تجارية واسعة الانتشار. وأصبحت صناعة أشباه الموصلات واحدة من أكبر الصناعات وأكثرها انتشارًا جغرافيًا في العالم. وقد تجاوزت عائدات الرقائق عالميًا ٧٩٠ مليار دولار عام ٢٠٢٥، وهي تقترب من تريليون دولار سنويًا، مدفوعة إلى حد كبير بالطلب على الهواتف الذكية، والحوسبة السحابية، والذكاء الاصطناعي.

كما أن سلاسل التوريد نفسها التي تنتج المعالجات المتقدمة للأسواق التجارية تغذي أيضًا تصنيع المكونات المستخدمة في الكاميرات، وأنظمة الملاحة، وأجهزة الحوسبة الطرفية، وهي حواسيب صغيرة تعالج البيانات محليًا بدلًا من معالجتها في خوادم سحابية بعيدة.

يحتوي الهاتف الذكي الحديث على قدرة حاسوبية تفوق ما كانت تمتلكه أنظمة عسكرية كثيرة خلال حرب الخليج، وعلى كاميرات كانت في السابق حكرًا على أقمار الاستخبارات الاصطناعية. وقد أوجدت الأسواق المدنية وفورات حجم هائلة لوحدات القياس بالقصور الذاتي المصغّرة، وهي أجهزة تتعقب الموقع والسرعة والاتجاه، ولمستقبلات نظام تحديد المواقع العالمي، وبطاريات الليثيوم، وأجهزة الاستشعار البصرية، وهي تقنيات كانت ستتطلب في السابق رعاية الدولة.

وتوضح أجهزة الاستشعار هذا التحول بأكبر قدر من الوضوح. ففي أثناء الحرب الباردة، كانت الحرب الدقيقة تتطلب أنظمة استطلاع عسكرية باهظة التكلفة. أما اليوم، فتوفّر الأقمار الاصطناعية التجارية صورًا لم تكن متاحة في السابق إلا للحكومات. وتُنتج الكاميرات عالية الدقة، وأجهزة الاستشعار الحرارية، وأجهزة تحديد المدى بالليزر، ورقائق الملاحة، لصناعات مدنية تشمل الزراعة والمركبات ذاتية القيادة. وقد انهارت تدريجيًا الحواجز التي تفصل بين التقنيات العسكرية والمدنية.

تكشف الاشتباكات الحالية حول مضيق هرمز حدود القدرة الأمريكية.

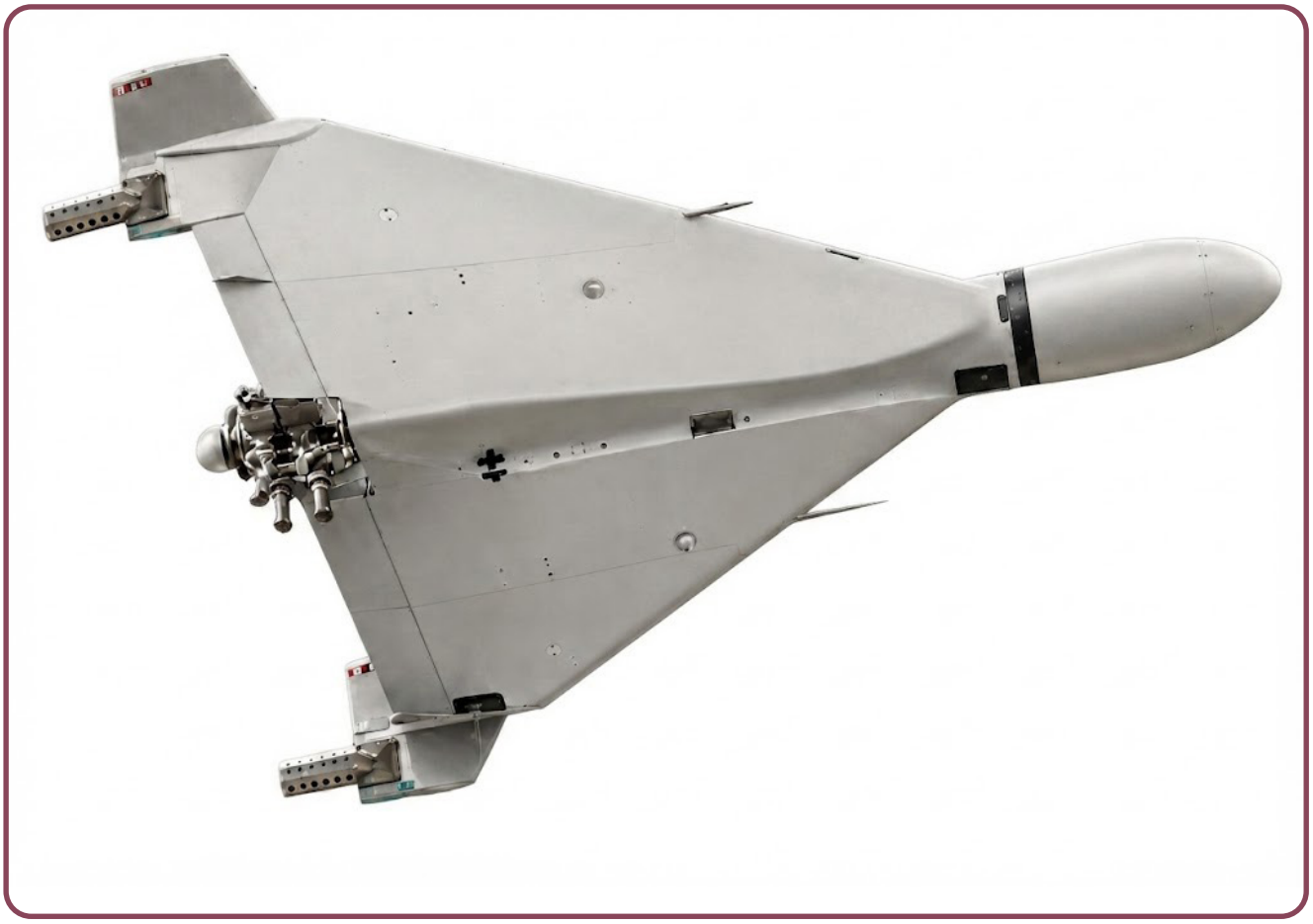

وسـرّع الذكاء الاصطناعي هذه العملية بدرجة أكبـر. فقد وفّرت نماذج اللغـة الكبيرة، وأنظمة الرؤيـة الحاسـوبية، والبرمجيـات مفتوحـة المصـدر، قـدرات كانـت تتطلب في السـابق مؤسسـات متخصصة. وحوّلت الاسـتثمارات الخاصة الهائلة البرمجيات المتقدمة إلى سـلعة متاحـة عالميًـا، إذ تجـاوزت عائـدات أشـباه الموصـلات المرتبطـة بالـذكاء الاصطناعـي وحدهـا مئتي مليار دولار عـام ٢٠٢٥. وعلى نطـاق أوسـع، أصبحت القـدرات التـي كانت تتطلب في السـابق برامج عسـكرية تبلغ قيمتها مليـارات الدولارات قـادرة الآن على الاعتماد علـى مكونات تشـترى عبر القنـوات التجارية العادية. وأصبحت الطائرات المسيّرة الصغيرة، المجمّعـة مـن إلكترونيات تم الحصـول عليها من السـوق التجارية، قـادرة الآن على إحداث تأثيرات كانت ترتبط سـابقًا بأسلحة متطورة لا تصنعها سوى الدول.

وتوضح الطائرة المسـيّرة الإيرانية «شـاهد-١٣٦» هـذا التحـول. فبـدلًا من الاعتمـاد على تكنولوجيا عسـكرية باهظة وعاليـة الإتقان، تجمع بين رقائق ملاحة متاحـة تجاريًا، ووحدات قياسـ بالقصور الذاتـي، ومسـتقبلات أقمار اصطناعية، ووحـدات اتصـالات، ومعالجات، وبرمجيات، صُممـ كثير منها أصلًا للإلكترونيات المدنية، مع هيكل ومحرك بسـيطين. والنتيجة هي سـلاح دقيق جـرى تجميعه إلى حـد كبير من مكونـات أتاحتها سلاسـل التوريـد التجارية العالمية نفسها التي تشغّل الاقتصاد الرقمي. والمغزى ليسـ أن «شاهد» متطورة تكنولوجيًا، بل المغزى أنها ليست كذلك.

وكان الاقتصاد العالمي نفسه الذي كافأ الكفاءة يكافئ أيضًا سهولة الوصول. فقد تنافست الشركات من خلال خفض التكاليف، وتوسيع الإنتاج، وتوزيع التكنولوجيا عبر الأسواق الدولية. وكل تحسين جعل الهواتف الذكية أرخص، والبطاريات أكثر كفاءة، والمعالجات أكثر قوة، زاد في الوقت نفسه القدرات المتاحة للدول الأضعف، وحتى للجهات الفاعلة من غير الدول.

ومع ذلك، فإن العولمة نفسها التي ولّدت ازدهارًا استثنائيًا أنشأت أيضًا أنظمة مترابطة تُحدث فيها الاضطرابات المحلية عواقب عالمية. فالأنظمة المحسّنة إلى أقصى حد غالبًا ما تكون هشّة؛ إذ يولّد اضطراب في منطقة واحدة تداعيات على بعد آلاف الأميال. فعلى سبيل المثال، أثّر نقص أشباه الموصلات خلال جائحة كوفيد-١٩ في إنتاج السيارات عبر قارات متعددة. وفي عامي ٢٠٢٤ و٢٠٢٥، نفّذ الحوثيون المتحالفون مع إيران في اليمن هجمات عديدة على السفن المارة عبر البحر الأحمر، الذي يؤدي إلى قناة السويس ويربط أوروبا بآسيا، وذلك في إطار مواجهتهم الأوسع مع إسرائيل. ولم يكن المسلحون قادرين على هزيمة خصومهم الأقوى منهم بكثير في معارك تقليدية، لكنهم استطاعوا استخدام الحرب الدقيقة لفرض تكاليف هائلة على الاقتصاد العالمي. واضطرت شركات الشحن الكبرى إلى تحويل مسار السفن حول رأس الرجاء الصالح بسبب التكاليف المرتفعة المصاحبة لعدم اليقين، بما في ذلك إطالة أوقات العبور وارتفاع أسعار التأمين.

ساعدت العولمة على إخراج أدوات الحرب الدقيقة من احتكار الدول المتقدمة. وبحلول منتصف عشرينيات القرن الحادي والعشرين، بدأ انتشار القدرات الدقيقة يعكس تلك العلاقة، ويجعل القوى العظمى عرضة لخصوم أضعف منها بكثير.

وبهذا المعنى، احتوى نجاح نظام ما بعد الحرب الباردة على تناقض غير متوقع: فقد أنتجت القوى الاقتصادية التي عززت النظام تدريجيًا كثيرًا من التقنيات التي ستجعل الحفاظ عليه أكثر كلفة بصورة متزايدة.

تتداعى الأمور

بدا أن الأسلحة الموجهة بدقة تحل واحدة من أقدم المشكلات في التاريخ العسكري. فلم تعد القوى العظمى بحاجة إلى احتلال الأراضي من أجل تحقيق أهداف استراتيجية. وكان بوسع القوة الجوية أن تحل محل القوة البرية. وكان بوسع التكنولوجيا أن تحل محل الحشود. وكان الدرس الذي استخلصه كثير من المراقبين من عام ١٩٩١ واضحًا: إذا استطاعت الولايات المتحدة تحديد الأهداف، فإنها تستطيع قمع المقاومة من دون احتلال مساحات شاسعة من الأراضي.

وقد كشفت حرب إيران الآن حدود ذلك الافتراض. كما أنها أشارت إلى وصول ثورة ثانية في الحرب الدقيقة. فإذا كانت الصورة المميزة لشهر كانون الثاني/يناير ١٩٩١ هي قنبلة موجهة بالليزر تدخل ممرًا للتهوية في بغداد، فإن الصورة المميزة لحرب إيران هي صورة طائرة مسيّرة صغيرة أحادية الاتجاه، جُمعت من إلكترونيات تجارية وأطلقها فريق متنقل من مكان ما على طول الساحل الجنوبي لإيران، وهي تحلّق نحو أهداف في الخليج.

وأدى انتشار التكنولوجيا الجديدة إلى توفير

طائرات مسيّرة منخفضة التكلفة، وصواريخ كروز، وأجهزة استشعار تجارية، وفرق إطلاق متنقلة. ولم يكن هدف إيران قط هزيمة القوة البحرية الأمريكية هزيمة كاملة في معارك السفن ضد السفن على الطريقة القديمة. بل كان إقناع الجهات التجارية بأن القوة البحرية الأمريكية لم تعد قادرة على ضمان أمنها المطلق.

وقد ثبت أن ذلك كان كافيًا. ففي الأسابيع التي تلت بدء الحرب، واصلت ناقلات النفط التحرك عبر الخليج، لكن أقساط التأمين ارتفعت بشدة، وانخفضت حركة المرور مع انتشار عدم اليقين في أسواق الطاقة. وخلال أزمات سابقة في كل من مضيق هرمز والبحر الأحمر، ارتفعت أقساط مخاطر الحرب إلى أضعاف مستوياتها المعتادة، وحوّلت شركات الشحن مسارات سفنها آلاف الأميال حول إفريقيا بدلًا من قبول المخاطر المتزايدة. ولا تحتاج الاقتصادات الحديثة إلى النفط فحسب، بل تحتاج إلى نفط يُسلَّم في الوقت المحدد، وبكميات كبيرة، وفي ظل ظروف يمكن التنبؤ بها.

وبمجرد أن تختفي الثقة، يمكن أن يظل الممر المائي مفتوحًا ماديًا، حتى في الوقت الذي يصبح فيه غير موثوق به استراتيجيًا.

جاء الرد الأمريكي على محاولة إيران إغلاق مضيق هرمز وفق المنطق التقليدي للقوى العظمى. فقد ضربت الولايات المتحدة، بالتعاون مع إسرائيل، مواقع الرادار، وبطاريات الصواريخ، ومنشآت الطائرات المسيّرة، ومناطق الإطلاق في أنحاء جنوب إيران، ودمّرت آلاف الأهداف. لكن أنظمة بديلة ظهرت بسرعة. وكانت إيران قادرة على تشتيت منصات إطلاقها المتنقلة وإخفائها وإعادة بنائها بوتيرة أسرع من القدرة على تدميرها. وما بدا في البداية مشكلة بحرية تحوّل تدريجيًا إلى مشكلة إقليمية. وكان بوسع الولايات المتحدة تدمير عدد محدود من منصات الإطلاق، لكنها لم تكن قادرة على إحكام السيطرة على آلاف الأميال المربعة من الأراضي. وقد جسّد إسقاط إيران مروحية أباتشي أمريكية في حزيران/يونيو المأزق الأمريكي. فباستخدام طائرة «شاهد» مسيّرة تبلغ كلفتها عشرين ألف دولار، دمّرت إيران أصلًا عسكريًا متقدمًا تبلغ قيمته خمسة وثلاثين مليون دولار. وحتى أقوى جيش على وجه الأرض لا يستطيع القضاء على تهديد الطائرات المسيّرة الرخيصة.

يمثل استمرار تحدي إيران للولايات المتحدة أكثر من مجرد نجاح تكتيكي. فإيران تتعامل، على نحو متزايد، مع ساحات منفصلة بوصفها مكونات لنظام استراتيجي واحد. وهي تدعم أنشطة حزب الله في لبنان، والميليشيات المتحالفة مع إيران في العراق، والحوثيين في اليمن. كما استهدفت قواعد أمريكية وبنى تحتية حيوية في دول الخليج المجاورة. والنتيجة هي نشوء مجال نفوذ إيراني لا يُبنى عن طريق الغزو، بل من خلال التعطيل المستمر. وتجعل الثورة الثانية في الحرب الدقيقة هذا النوع من التعطيل الواسع النطاق والمستمر ممكنًا.

ليس مقدرًا لإيران أن تصبح القوة المهيمنة في الشرق الأوسط. فلا يزال اقتصادها ضعيفًا، ولا تزال قواتها العسكرية التقليدية أدنى من نظيرتيها الأمريكية والإسرائيلية، كما لا تزال حكومات عربية كثيرة تخشى طهران أكثر مما تثق بها.

لكن نجاحها العملياتي يمكن أن يولّد فرصة سياسية. فإذا خلصت الحكومات والأسواق والقوى الخارجية، على نحو متزايد، إلى أنه لا يمكن اتخاذ أي قرار مهم في الخليج من دون مراعاة التفضيلات الإيرانية، فإن النفوذ العسكري الإيراني سيتحول تدريجيًا إلى تأثير سياسي. ولا تستجيب أسواق التأمين، وتجار الطاقة، وشركات الشحن، والحكومات الإقليمية للقوة ذاتها فحسب، بل أيضًا للتوقعات المتغيرة بشأن القوة المستقبلية. تتغير التوقعات أولًا، وعادةً ما تتبعها المؤسسات لاحقًا.

ولا يزال من غير المؤكد ما إذا كانت إيران ستنجح في نهاية المطاف في تحويل نفوذها العملياتي إلى شكل من أشكال الهيمنة الإقليمية، ولا سيما لأنه لا يزال من غير الواضح إلى حد بعيد كيف ستنتهي المرحلة الحالية من القتال. لكن انتشار تقنيات الدقة قلب المعادلة. فقد أوحى الانتصار الأمريكي السريع والحاسم في حرب الخليج بأن الحرب الدقيقة تتيح للقوى العظمى السيطرة على الأراضي المتنازع عليها بتكلفة منخفضة نسبيًا. أما حرب إيران، فتشير، على النقيض من ذلك، إلى أن انتشار تكنولوجيا الدقة يربك القوى العظمى ويجعل السيطرة على المساحات المتنازع عليها أكثر صعوبة بكثير.

ساحة المعركة المقبلة

قد يحدث ما جرى في مضيق هرمز على نطاق أوسع بكثير في شرق آسيا. فالسيناريو التقليدي لصراع حول تايوان يفترض أن الصين ستفرض حصارًا على الجزيرة، وأن تايوان ستعاني تحت وطأة الحصار. لكن الثورة الثانية في الحرب الدقيقة تشير إلى احتمال أكثر تعقيدًا: أن تتمكن تايوان من استخدام الطائرات المسيّرة، وبطاريات الصواريخ المتنقلة، وأجهزة الاستشعار التجارية، والذكاء الاصطناعي، لتعطيل التجارة البحرية الصينية وتهديدها.

يمر ما يقرب من خُمس التجارة البحرية العالمية عبر مضيق تايوان، ما يجعله واحدًا من أهم الممرات المائية في العالم من الناحية الاقتصادية. وعلى الرغم من النجاح الاقتصادي الاستثنائي الذي حققته الصين، فإن قرابة أربعين في المئة من ناتجها المحلي الإجمالي يعتمد على التجارة، وتُنقل الغالبية العظمى منها بحرًا. وكما اختارت إيران تحويل نقطة الاختناق في مضيق هرمز إلى سلاح، يمكن لتايوان أن تفعل الشيء نفسه. فكّر في تايوان بوصفها منصة إطلاق كبيرة غير قابلة للإغراق، تمتلك آلاف الطائرات المسيّرة التي يصل مداها إلى سبعمئة وخمسين ميلًا. وتقع الموانئ البحرية الصينية الكبرى ضمن هذا المدى، بما في ذلك ميناء شنغهاي، وميناء نينغبو-تشوشان، وميناء شنتشن. ولذلك، لا يقتصر الخطر على حركة الملاحة المارة عبر مضيق تايوان. بل يمكن لتايبيه أن تفعل المزيد لإلحاق الضرر بخصمها الأكبر، وأن تواصل تهديد الممرات التجارية المؤدية إلى الموانئ الرئيسية للصين، حتى في غياب حصار رسمي.

ترى القوى الأضعف الآن أن تحدي الولايات المتحدة أمر ممكن.

يمكن للصين إعادة توجيه بعض حركة الشحن إلى شرق تايوان، أو عبر ممرات بحرية أبعد بالقرب من دول أخرى. لكن، كما هي الحال عند إعادة التوجيه حول رأس الرجاء الصالح خلال أزمة البحر الأحمر، لا تتمثل المسألة في ما إذا كانت التجارة قادرة على الاستمرار أصلًا، بل في ما إذا كانت قادرة على الاستمرار بصورة يمكن التنبؤ بها وبتكاليف مقبولة.

وسيأتي نفوذ تايوان من موقعها الجغرافي المشرف على الممرات البحرية المؤدية إلى القلب الصناعي للصين، ومن قدرة الجزيرة، بفضل الثورة الثانية في الحرب الدقيقة، على جعل تلك الممرات محفوفة بالمخاطر بصورة مستمرة.

لن تحتاج تايوان إلى إغراق عدد كبير من السفن لإحداث عواقب ملموسة لجيش التحرير الشعبي الصيني. فقد تؤدي حفنة من هجمات الطائرات المسيّرة الناجحة، أو حتى احتمال وقوع هجمات مستقبلية، إلى إطلاق سلسلة مألوفة من الأحداث:

سترتفع أسعار التأمين بشدة، وستعيد شركات النقل التجارية تقييم المخاطر، وستنخفض حركة الملاحة. وسيتسلسل الاضطراب الاقتصادي حتى لو ظل الدمار المادي محدوداً.

ونظرًا إلى اعتماد العالم على السلع الصينية، سيكون التأثير في معظم الدول شديدًا وسيظهر في غضون أشهر، ما يهدد بانكماش الاقتصاد العالمي. ومن المرجح أن يتعرض الاقتصاد الصيني المعتمد على التجارة لأشد صدمة خارجية منذ أن أطلقت البلاد إصلاحات اقتصادية مهمة في ثمانينيات القرن العشرين. وسيتعين عليها التعامل مع انهيار الثقة التي تعتمد عليها التجارة الحديثة. وستتعرض واردات الطاقة، وسلاسل توريد التصنيع، وصناعات التصدير، وتمويل الشحن، والاستثمارات الأجنبية، كلها لضغوط متزامنة.

وقد تدفع الصعوبات الأمريكية خلال حرب إيران الصين فعليًا إلى إدراك حماقة مهاجمة تايوان؛ إذ يمكن للجزيرة أن تكرر استراتيجية إيران، بما يترتب على ذلك من تداعيات هائلة على الصين والعالم.

القواعد الجديدة للقوة

يمكن أن تدور الصراعات المستقبلية بصورة متزايدة حول نقاط الاختناق الاقتصادية الرئيسية في العالم، بما في ذلك مضيق تايوان، وبحر الصين الجنوبي، ومضيق ملقا، والبحر الأحمر، ومضيق هرمز نفسه. ومن شأن ارتفاع أسعار التأمين، وزيادة كلفة الشحن، وتكرار سلاسل التوريد، والحاجة إلى الاحتفاظ بمخزونات أكبر واحتياطيات استراتيجية، والضغط السياسي من أجل الإنتاج المحلي، أن ترفع تدريجيًا تكاليف التجارة الدولية. وسيعود العالم الذي سوّته العولمة ليُطوى من جديد بالنتوءات والتصدعات. ونتيجة لذلك، بدأت الآن مجموعة جديدة من الافتراضات والقواعد المتعلقة بالنظام العالمي تتضح معالمها.

لم يعد التفوق العسكري الأمريكي يضمن تحقيق النتائج السياسية بتكلفة منخفضة. ولا تزال الولايات المتحدة تمتلك قوة تدميرية لا مثيل لها. غير أن تدمير الأهداف وتحديد النتائج أمران مختلفان. فبقدر ما قد تكون واشنطن قادرة على معاقبة أعدائها، فإنها تواجه صعوبة في إرغامهم. كما لم يعد التصعيد يصب تلقائيًا في مصلحة الولايات المتحدة. فالأسلحة الدقيقة، والجغرافيا، والشبكات الموزعة، تتيح للجهات الأضعف رفع التكاليف بوتيرة أسرع من قدرة القوى الأقوى على كبحها. وتستطيع الولايات المتحدة التصعيد باستخدام القوة الجوية، بل وحتى استخدام القوات البرية، لكنها لم تعد تحتفظ بالهيمنة على التصعيد.

وفي الوقت نفسه، لم يعد التدخل الأمريكي يضمن الاستقرار الاقتصادي في المنطقة المستهدفة. فعلى مدى ثلاثة عقود، افترضت الأسواق أن القوة الأمريكية تساعد على تقليل المخاطر. أما اليوم، فإن التدخلات الأمريكية تؤجج حالة عدم اليقين بدلًا من ذلك.

وقد أوجدت العولمة ازدهارًا استثنائيًا، لكنها أوجدت أيضًا نقاط ضعف لا تستطيع القوة العسكرية وحدها إزالتها بسهولة. وترى القوى الأضعف الآن أنه من الممكن تحدي الولايات المتحدة، وأن المقاومة لم تعد تبدو بلا جدوى بصورة واضحة. ولا تحتاج هذه الجهات إلى هزيمة الولايات المتحدة من أجل إحباطها. بل يكفيها أن تقوّض الثقة، وتفرض التكاليف، وتصمد إلى ما بعد التوقعات بهزيمتها. ولم يعد الهدف هو تحقيق نصر تقليدي في ساحة المعركة، بل إيجاد نفوذ من خلال التعطيل.

ولا يعني هذا أن كل دولة أضعف تستطيع اليوم إحباط الولايات المتحدة، بل يعني فقط أن عددًا أكبر بكثير من الدول يُرجح أن يكتسب هذه القدرة مع استمرار انتشار تقنيات الثورة الثانية في الحرب الدقيقة. وستشكّل الجغرافيا، والأهداف الاستراتيجية، وإمكانية الوصول إلى أنظمة دقيقة منخفضة التكلفة، ملامح هذه البيئة الجيوسياسية الجديدة.

وخلال معظم التاريخ الحديث، حوّلت الدول الأقوى الثروة الاقتصادية إلى تفوق عسكري، والتفوق العسكري إلى نفوذ سياسي. وبدا أن حقبة ما بعد الحرب الباردة تعزز هذه العلاقة. غير أن الثورة الثانية في الحرب الدقيقة تشير إلى نمط مختلف. فالنجاح الاقتصادي يؤدي إلى انتشار التقنيات الجديدة واعتمادها على نطاق واسع، وهو ما يساعد الجهات الأضعف ويتيح لها فرض تكاليف أكبر على خصوم أقوى مما كان بوسعها فرضه في الماضي. ولا تُقاس القوة الجيوسياسية لقوة عظمى، مثل الولايات المتحدة، بقدرتها على السيطرة على الآخرين بقدر ما تعكس مقدار الثقة التي يضعها الآخرون في الأنظمة التي تحافظ عليها وترتكز عليها.

وقد يتبين أن مضيق هرمز لم يكن سوى البداية. فإذا ظهرت الآليات نفسها حول تايوان، فإن الحقبة المقبلة من السياسة الدولية لن تتحدد بتوسع العولمة، بل بتكاليف حمايتها.

ملحق العدالة

هيئة التحرير

٢٠٢٦/٣/١٢

المصادر:

Lock Stock Finance

إذا لم تفهم البترودولار، فلن تفهم الجغرافيا السياسية

أثارت حرب ترامب على إيران مخاوف عالمية بشأن الاقتصاد. فإذا استمر إغلاق مضيق هرمز، وتعرضت دبي والسعودية والإمارات ودول الخليج الأخرى للهجمات، فقد ترتفع أسعار النفط العالمية بشكل حاد.

لماذا شنّ ترامب هذا الهجوم على إيران الآن؟ يعود كل شيء إلى نظام البترودولار الأمريكي. فالنفط هو أساس كل شيء، وعماد اقتصادنا العالمي منذ الحرب العالمية الثانية.

لكن ما هو نظام البترودولار تحديدًا؟ وكيف يعمل؟ ولماذا تم إنشاؤه؟ وما هو مستقبل البترودولار؟

لماذا يُعدّ النفط بهذه الأهمية؟

هل تعلم أن هناك نظامًا يُسيّر العالم ويتحكم بكل شيء، من الأسعار إلى الطاقة وصولًا إلى السياسات الحكومية؟ كلا، ليس هذا النظام هو النظام المصرفي، ولا سوق الأسهم، بل هو الدولار النفطي. لأكثر من خمسين عامًا، وهو يُشكّل عالمنا. فما هو الدولار النفطي؟ لفهم الدولار النفطي، علينا أولًا أن نفهم لماذا يُعدّ النفط بهذه الأهمية.

نستخدم النفط لتشغيل سياراتنا وطائراتنا وسفننا لنقل الأشخاص والبضائع داخل بلداننا وحول العالم. نستخدمه في صناعة البلاستيك، وفي بعض الدول، نستخدمه لتوليد الكهرباء. بل إننا نستخدمه أيضًا في تصنيع المواد الكيميائية والأسمدة والعديد من المنتجات اليومية الأخرى. يعتمد اقتصادنا الحديث على النفط في كل شيء تقريبًا.

ولأن النفط بهذه الأهمية، فإن الدول تشتريه وتبيعه باستمرار. بعض الدول تُنتج كميات كبيرة من النفط، كالمملكة العربية السعودية، بينما تستهلك دول أخرى كميات كبيرة منه لكنها لا تُنتج الكثير، كاليابان. هذا يخلق سوقًا نفطية عالمية ضخمة.

كيف سيطر الدولار الأمريكي على الاقتصاد العالمي؟

فكيف استطاع الدولار الأمريكي السيطرة على هذه السوق العالمية؟ لفهم ذلك، علينا أن نعود إلى الحرب العالمية الثانية.

في نهاية الحرب، بينما كان معظم العالم غارقًا في الدمار، خرجت الولايات المتحدة باقتصادها وقاعدتها الصناعية سليمة. أدى ذلك إلى اتفاق الدول على جعل الدولار الأمريكي محور النظام المالي العالمي في مؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٤. كان من المفترض أن يُؤسس هذا النظام العالمي الجديد المدعوم بالدولار الأمريكي المرتبط بالذهب (٣٥ دولار لكل اونسة ذهب).

معيار الذهب وصدمة نيكسون

وعدت الولايات المتحدة بإمكانية استبدال دولاراتها بالذهب، ولذا ربطت العملات الأخرى عملاتها بالدولار. لكن في عام ١٩٧١، فصل الرئيس نيكسون الاقتصاد الأمريكي عن معيار الذهب، فيما عُرف بصدمة نيكسون. حوّل هذا القرار العالم إلى اقتصاد العملات الورقية بدلًا من الاقتصاد المدعوم بالذهب. العملة الورقية هي نقود تصدرها الحكومات ولا تدعمها سلعة مادية كالذهب أو الفضة، بل تستمد قيمتها من ثقة الجمهور والاستقرار الاقتصادي.

بعد أن توقفت الولايات المتحدة عن دعم الدولار بالذهب،

ظل الدولار مهيمنًا نظرًا لضخامة الاقتصاد الأمريكي واستقرار الحكومة الأمريكية، فضلاً عن أن العديد من المعاملات العالمية كانت تُجرى بالفعل بالدولار.

وهكذا أصبح الدولار ما يُعرف بعملة الاحتياط العالمية، أي أن الدول تحتفظ بكميات كبيرة منه في بنوكها المركزية.

عملة الاحتياط العالمية

ولكن في عام ١٩٧٣، شهد العالم أزمة نفطية كبرى، تمثلت في توقف الدول العربية المنتجة للنفط عن بيع النفط للدول الداعمة لإسرائيل في حرب اكتوبر، بما فيها الولايات المتحدة، سعيًا منها لكسب نفوذ سياسي. وقد أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار النفط أربعة أضعاف، مما تسبب في نقص حاد وتضخم شديد في الاقتصادات الغربية.

اتفاقية البترودولار مع السعودية

واستجابةً لذلك، أبرمت الولايات المتحدة اتفاقية هامة مع المملكة العربية السعودية، إحدى أكبر الدول المنتجة للنفط في العالم. كانت الاتفاقية بسيطة: ستبيع السعودية نفطها بالدولار الأمريكي فقط، مقابل توفير الولايات المتحدة الحماية والدعم العسكريين. وبما أن السعودية كانت أكبر الدول المنتجة للنفط، فقد اضطرت الدول الأخرى إلى أن تحذو حذوها. هذا يعني أنك كنت بحاجة إلى الدولار الأمريكي لشراء النفط من معظم المنتجين الرئيسيين، أينما كنت في العالم. هذا النظام هو ما يُعرف بنظام البترودولار. والآن، إليكم الفكرة الأساسية:

إذا كانت كل دولة بحاجة إلى النفط، وكان النفط يُباع بالدولار، فإن كل دولة ستحتاج إلى الدولار. تخيل أنك دولة مثل اليابان. أنت لا تنتج الكثير من النفط، لكنك تحتاجه لتشغيل اقتصادك. لشراء النفط، يجب عليك

أولاً الحصول على دولارات أمريكية.

ثانياً، الاحتفاظ باحتياطيات من الدولار جاهزة.

ثالثاً، التجارة مع الولايات المتحدة أو امتلاك أصول أمريكية. هذا يخلق طلباً عالمياً مستمراً على الدولار الأمريكي، وهذا الطلب يمنح الولايات المتحدة مزايا كبيرة. فهو يحافظ على قوة الدولار لأن الجميع يحتاج إليه. كما يسمح للحكومة الأمريكية باقتراض الأموال بسهولة أكبر وبأسعار فائدة أقل.

ويعني أيضاً أن الولايات المتحدة تستطيع استخدام أنظمة مالية مثل العقوبات للتأثير على الدول الأخرى لأن العديد من المعاملات الدولية تمر عبر البنوك الأمريكية. ببساطة، يساعد الدولار النفطي في الحفاظ على مكانة الدولار الأمريكي في مركز الاقتصاد العالمي.

إعادة تدوير البترودولار

ماذا يحدث لأموال النفط التي تتلقاها الدول المنتجة للنفط؟ إنها لا تكتفي بتخزين أكوام من النقود، بل تستثمرها. وهذا ما يُسمى بإعادة تدوير الدولار النفطي. على سبيل المثال،

تستثمر الدول النفطية في سندات الحكومة الأمريكية، وتشتري شركات أمريكية، وتستثمر في العقارات والأسواق العالمية. هذا يعني أن الدولارات غالباً ما تعود إلى النظام المالي الأمريكي، لتصبح حلقة مفرغة.

أولاً، تشتري الدول النفط بالدولار.
ثانياً، يكسب منتجو النفط دولارات.
ثالثاً، يستثمر منتجو النفط هذه الدولارات مرة أخرى في أصول أمريكية.
ورابعًا، يبقى الدولار قويًا.

مستقبل البترودولار

إذن، ما هو مستقبل نظام البترودولار؟ في السنوات الأخيرة، حاولت بعض الدول مثل روسيا وفنزويلا والهند وباكستان تداول النفط بعملات أخرى مثل اليورو أو اليوان الصيني.

هذا أحد أهداف تحالف بريكس التجاري، وهو شراكة بين دول تهدف إلى تقليل الاعتماد العالمي على الدولار.

لماذا تتداول الدول المعادية بالدولار؟

إذن، إليكم السؤال الأهم: لماذا لا تزال الدول المعادية للولايات المتحدة تتداول البترودولار؟

إن التخلي عن نظام الدولار النفطي ليس بالأمر الهين. فإذا ما تم تغيير العملة فجأة، لن يقتصر التغيير على المدفوعات فحسب، بل سيمتد ليشمل العقود وأنظمة التحوط والتأمين ونماذج التسعير. يتميز الدولار الأمريكي بسيولة عالية، ما يعني إمكانية تحويل مليارات الدولارات دون التسبب في انهيار السوق. كما أنه يتمتع بحماية قانونية قوية. يشبه الأمر محاولة فيسبوك إطلاق ميزة «السلاسل» لمنافسة تويتر، فليس من السهل إقناع الجميع بالانتقال إلى منصة أخرى. في حين أن كل شيء يجري بالفعل على تويتر.

الصين وروسيا

لكن الصين وروسيا تُقلّصان استخدامهما للدولار بشكل انتقائي. ففي الآونة الأخيرة، زادت روسيا من تجارتها النفطية مع الصين واليوان، وسوّت بعض معاملاتها بالروبل، وخفّضت حيازاتها من سندات الخزانة الأمريكية. أما الصين، فتُفضّل الآن عقود النفط المقوّمة باليوان، وتشجع التسويات التجارية باليوان مع شركائها التجاريين.

ولكن الأهم هو أنهما تُقلّلان من استخدام الدولار حيثما تقتضي الضرورة السياسية، لا سيما في ظل العقوبات، مع الاستمرار في استخدامه عندما يكون ذلك مناسبًا وفعالًا.

إنه تحوّل تدريجي، وليس ثورة. لكن استراتيجية الصين لزعزعة استقرار الدولار لا تقتصر على نظام البترودولار فحسب، بل تستخدم أيضًا سوق الذهب. وتستخدم الصين سوق الذهب لكسر هيمنة الدولار الأمريكي على النظام المالي العالمي، وتأثير ذلك على أسعار الذهب.